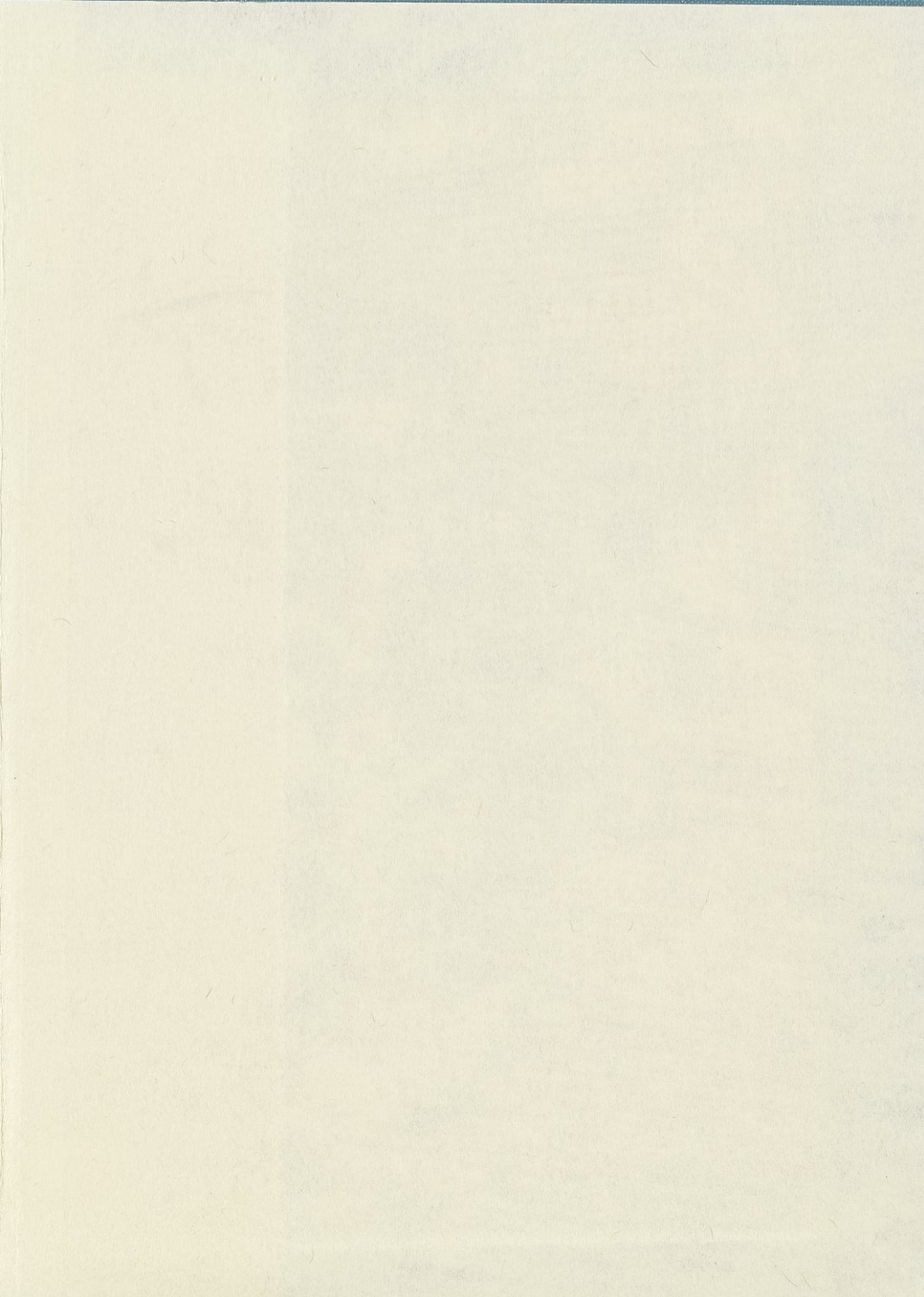






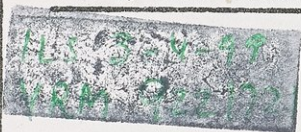
Princeton University Library



32101 063506131

Princeton University Library

This book is due on the latest date
stamped below. Please return or re-
new by this date.



عززي دين

al-Sa'idī, 'Abd al-Muta'āl

الأقوال الحسنة

في حسن نظم القرآن

al-Aqwāl

تأليف

عبد المتعال الصغيرى

المدرس بالجامع الاحمدى

الجزء الاول

قال القاضى أبو بكر بن العربى

«ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالسكّة
الواحدة متسعة المعاني منتظمة المباني علم عظيم لم يتعرض له
الاعالم واحد عمل فيه سورة البقرة ثم فتح الله لنا فيه فلهام
نجد له حيلة ختمنا عليه وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه اليه.

حقوق الطبع محفوظة

المطبعة العمومية بط. ط

اهداء الكتاب

الى الشباب الناهض من أبناء المسلمين عموما . وأبناء
 للمعاهد الدينية خصوصا . أهدى كتابي هذا كنموذج لما
 يطلبونه لمعاهدهم من الكتب الحية . والتسايف التي
 تدب فيها روح الحياة الجديدة . وكواجب على شخص
 نادى فيهم بالاصلاح فلقى منهم آلافا تردد صوته . وتتغاب
 على صوت اليأس الذي كان يحاول أن يصل الى نفوسهم
 حتى شعرت الامة والحكومة بحاجتهم الى الاصلاح .
 وألفت وزارات جعلت أول ما يعنىها القيام به . وألفت أحزاب
 من الامة جعلته مما تسعى اليه لدى الحكومة . فأى فوز
 بعد هذا ينسبني تلك الآلام التي لقيتها في سبيل تلك
 المبادئ من نفر كنت معهم كما قال بعض الشعراء

أريد حياته ويريد قتلى عزيزك من خليلك من مراد
 فالى أولئك الذين أثمرت فيهم تلك المبادئ أهدى
 كتابي هذا . ولا أقصده به بعد الله زلفى لكبير . وهو حسبي

ونعم الوكيل غير المتعال الصعبري



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي جعل القرآن معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم يبلّغه التي أعجزت خول البلغاء . وحسن نظمها الذي حارت فيه عقول الأذكاء . وخفي سره فلم يدركه إلا من أنار الله قلبه . وكشف عن بصيرته .

وبعد فلا يخفى أن القرآن نزل مفردا في ثلاث وعشرين سنة . وأن هذا الترتيب الذي تقرأه ليس على ترتيب النزول فقد تكون الآية تلو الآية وبين نزول الأولى والثانية عدة سنين . وهذا كان سببا في صعوبة إدراك ما بين آياته من اتصال . وما في نظمها من تناسق . حتى عد هذا بعض فلاسفة الفرنج مثل (دوزي) الهولندي و (كارليل) الانجليزي عيبا يؤخذ على القرآن . فانه في نظرهم جاء مخالفا في ترتيبه للكتب الوضعية . فليس له مقدمة مثلها . ولا مباحث متسلسلة ذات مقاصد محدودة في فصول معدودة كمباحثها . بل هو آيات مجتمعة ذات مقاصد مختلفة آية

M 52896

113

وعظ تتلوها آية جهاد تنبئها آية فقه بعدها قصة رسول .
الى غير ذلك مما لا يحصى على قانون الكتابة البشرية . ولا
يتفق مع نظام التأليف المعروف

ويرى الأستاذ محمد فريد وجدي أنه لا شئ في عدم
مراعاة القرآن قانون الكتابة البشرية . بل لو كان على مثال
الكتب الوضعية في الترتيب والتبويب لكان كتابا وضعيا
لا سماويا . فالترتيب يقتصر سلطانه على الكلام البشرى .
ويجمل عنه كلام الله كما يجمل البحر عن ابن محمد بما تحده
الجداول

وهذا كلام خطاى لا يقوى على النقد . ولا يثبت
أمام البحث . فالقرآن لم يجل من الترتيب الذى قال أنه يجل
عنه . فقد نزل مفردا كما قلنا ثم رتب على هذا الشكل الذى
تراه الآن . ثم ان له فاتحة كمقدمة المكتب وله سور
كأبوابها . ولو لم يكن ترتيبه على خلاف ازمنة نزوله لاجل
وضع المناسب بجانب المناسب . وضم الشبيه الى الشبيه . لكان
المدول عن ترتيبه على ازمنة نزوله الى هذا الترتيب عبثا

وبلا حكمة . وهذا محال على الله سبحانه وتعالى
 وأنه لمن أعظم الخطر أن نسلم لهؤلاء القوم أن القرآن
 لا ترتيب فيه . ولا اتصال بين آياته . ولا ارتباط بين أجزائه
 فأى شئ يمكننا أن نقتنعهم به بعد هذا فيسلموا أنه لا عيب
 فيه على القرآن . وأى شئ نقوله لهم اذا قالوا أن قرآنكم
 سئ الترتيب . مفكك الاجزاء . مشتت المعاني والاغراض
 أينفعنا أن نقول أن الترتيب حسن في كلام البشر غير حسن
 في كلام الله . ومن الذي يقبل منا هذا والترتيب بحكم البداهة
 حسن في كل شئ . ومطلوب في كل كلام فصيح
 ولقد غنى المتقدمون بتقسيم السور القرآنية الى ارباع
 وأجزاء متساوية القدر . لالشئ الا تسهيل التلاوة والحفظ فلم
 يعنوا فيها بضم الشبيه الى الشبيه . ولا بجمع الايات الواردة في
 غرض واحد تحت اسم يجمعها . وتندرج به في السورة كما
 يندرج الفصل في الكتاب . ولو عنوا بهذا لا ظهوروا القرآن
 امام عامة الناس وخاصتهم متصل الاجزاء . محدود الاغراض
 ولم يكن لثقل دوزى وكارليل أن يرميه بأنه مفكك الأجزاء
 غير محكم النظم . ولظهرت السور القرآنية امام الناس ذات

فصول متكافئة . ترمى إلى اغراض واضحة . وتسير في طريق
لا انحراف فيه ولا تعرج . ولا يحيد عن الغرض العام الذي
وضعت له السورة

ولم يوجد من المفسرين من اغطي هذا الامر ما يستحقه
من العناية . اللهم الا قليل يقصد في بعض الأحيان لاظهار
المناسبة بين آية وآية . فلم يأت بالغرض المطلوب . ولم يحل
تلك المسألة العويصة التي تتمطش الى حلها النفوس . وتبحث
عمن ينظر لها في كل سورة نظرة اجمالية ليعرف الغرض
الذي وضعت له . ثم يقسمها بعد هذا إلى فصول يت كل
منها بسبب الى ذلك الغرض وتنهي الى الغاية المقصودة من
كل سورة

وانها يوم تظفر بذلك يشفي منها العليل . وتحظى بأعظم
أمنية تريدها للقرآن الكريم . وأنامع اعترافنا بالعجز والتقصير
نحب ان نكون اول من يقوم بهذه الخدمة . مستمدين من
عون الله ما تقوى به ضعفنا . ومن هدايته ما ينير السبيل
امامنا . انه نعم الهادي الى سواء السبيل

من الف في هذا الفن

نقول هذا الفن مجارة لصاحب الاتقان الذي عده
 فنا من فنون القرآن . وهو علم جليل لم يصل اليه من العلماء
 الا القليل - قال ابن العربي في سراج المريدين . ارتباط آي
 القرآن بعضها ببعض حتى تكون الكلمة الواحدة متسعة
 المعاني . منتظمة المباني . علم عظيم لم يتعرض له الا عالم
 واحد عمل فيه سورة البقرة . ثم فتح الله لنا فيه فلما لم نجد
 حيلة . ورأينا اخلق بأوصاف البطلة . ختمنا عليه . وجعلناه
 بيننا وبين الله ورددناه اليه . وأول من تكلم فيه الشيخ
 أبو بكر النيسابوري وكان يزري به على علماء بغداد لعدم
 علمهم به . ومن ألف فيه الشيخ أبو جعفر بن الزبير شيخ
 أبي حيان . وكتابه فيه يسمى البرهان في مناسبة ترتيب
 سور القرآن . والشيخ برهان الدين البقاعي وكان معاصراً
 لجلال الدين السيوطي . وكتابه فيه يسمى نظم الدرر في
 تناسب الآي والسور . وقد اكثر نخر الدين الرازي من
 التمرض له في تفسيره الكبير . الا أنه لم يأت فيه بما يشفي

الغليل . ولم يتعرض في الغالب الا لظاهر المناسبة بين آية
وسابقتها أو لاحقتها . ولم نجده يتعرض لربط آيات السورة
كلها حتى تكون كما قال ابن العربي ككلمة واحدة . ولم
يعن بالبحث عن الغرض الذي سيقى له كل سورة وتنزيل
آياتها عليه . فهذا هو بيت القصيد . وفيه شفاء النفس
واصلاح الصدر . وارواء العقل .

أما تلك الكتب السابقة فليس بين أيدينا منها شيء
ولعلمنا قد ذهبت بها يد الالهال . وما نظمها كانت تغنى فيما
تطمح اليه النفس من هذا العلم فتبلا . أو تؤدى من واجبه
قليلاً أو كثيراً . والا لظهر أثرها في كتب المفسرين التي بين
أيدينا . فسندسير في هذا الطريق معتمدين بعد الله على
عقل لم نفرح به يوماً فذل لنا . واثقمننا به تلك الصماب
فلم يعض علينا . حتى فاز منها بما لا يخرج عن طوق العقول
وبما سيجد له حيلة ان شاء الله

ولعل ابن العربي اعتمد في ذلك على مثل ما يعتمد عليه
الصوفية في تفسير القرآن من علوم باطنية والهامات خفية .
واشارات دقيقة . فأتى في ذلك العلم بما رأى انه لا يمكن

أن يفهمه للناس وضمن به عليهم . وهم معذورون في عدم
 اقبالهم على تلك الانغاز والموز . وابتعادهم عن لايخاطبهم
 بلغة العقول . بل بلغة بدأ عصرها بالافول . وانصرف
 الناس عنها الى مايفيدهم في هذه الحياة الدنيا

اصول عامة

تمهيد

في القرآن فنون من الاحكام الفرعية والاعتقادية
 والاخلاقية وغير هذا من فنون الوعظ وقصص الانبياء
 وحكايات الصالحين والجبارين والطائمين والعاصين. ولو أن
 هذه الفنون قسمت على سور القرآن بحيث يكون بعضها
 للأحكام الفرعية خاصة. وبعضها للأحكام الاعتقادية خاصة
 وبعضها الاخلاق وبعضها لقصص الانبياء، الخ الخ لكانت
 كل سورة في غير حاجة الى هذا العلم لظهور المناسبات بين
 آياتها. ولكن هل كان يمكن مع هذا أن يصل القرآن
 الى حد الاعجاز ببلاغته وباهر نظمته. وأى بلاغة يمكن
 أن تصل الى ذلك الحد في سورة لا تشتمل ألا على أحكام
 فقهية صرفة ولا يتسع فيها المجال لتحريك العواطف بتلك

البلاغة الساعرة . وذلك النظم المجيب
لهذا جرت عادة القرآن أن يخلط بين هذه الفنون في
سوره على الاصول والامثلة الآتية

(١)

إذا أخذ في سرد الاحكام الفقهية أو نحوها يأتي بعد
كل حكم منها إذا شاء بآية أو آيات في الوعد والوعيد ترغيبا
في العمل به وتحذيرا من تركه

(٢)

إذا أخذ في سرد تلك الاحكام لا يعضى فيها الى النهاية
بل يقطعها الى ذكر قصص المتقدمين واعداء الدين ونحوها
تفنتنا في الكلام . وتنشيطا للخاطر

(٣)

إذا ذكر احوال العصاة انتقل الى ذكر التوبة إذا
شاء ليرغبهم فيها ويذكر أحكامها

(٤)

إذا ذكر آيات متعلقة بموضوع واحد فلا يأتي بها في
سياق واحد . لان المقصود من تلاوة القرآن أن تكون

عظة وذكرى ولو طال سرد الآيات في موضوع واحد فأت
هذا الغرض

(٥)

أذا ذكر قصص المتقدمين يأتي في خلالها إذا شاء بما
يدل على عظة أو عبرة . لأن هذا هو المقصود من ذكرها
في القرآن . أما ذكرها للعلم بها فهو وظيفة التاريخ

(٦)

أذا سرد احكاما فقهية فلا يراعى في الغالب أن يجمع
منها ما كان من نوع واحد . بل يراعى أوقات نزولها . أو
اشتراكها في حاجة الناس اليها في الوقت الذي نزلت فيه .
وعلى هذا لا يكون سرد الاحكام محتاجا الى تكلف مناسبات
كالتي يحتاج اليها في غيره . بل يكفي ذلك في صحة الجمع
بينها دون غيرها

(٧)

أذا ذكر شرائع وأحكاما فقد يذكر بعدها ما يدل على
كبرياء الله وعظمته وحكمته لتؤخذ بالقبول . ويحذر الناس
من مخالفتها

(٨)

أذا ذكر شرائع وأحكاما فقد يذكر بعدها احوال يوم
القيامة وما يكون فيها من سؤال وحساب وثواب أو عقاب
تأكيدها للعمل بها

(٩)

أذا ذكر مثلا حال المؤمنين يتبعه ذكر حال الكافرين
والعكس بالعكس . لان النفس تتشوف الى معرفة الضد
بذكر ضده

(١٠)

أذا ذكر شيئا ألحق به نظيره لان الحاق النظير بالنظير
من شأن العقلاء كقوله تعالى كما اخرجك ربك من بيتك
بالحق عقب قوله اولئك هم المؤمنون حقا فإنه تعالى أمر
رسوله أن يعرض لامره في قسمة الغنائم علي كره من أصحابه
كما مضى لامره في خروجه من بيته للقتال على كره منهم
فكان الظفر والغنيمة

أذا ذكر شيئا استطرد إلى ذكر ما بينه وبينه مناسبة
والاستطراد من مقاصد البلاغ . ويقرب من الاستطراد
حسن التخلص وهو أن ينتقل مما ابتدئ به الكلام إلى
المقصود على وجه سهل يختلسه اختلاسا حتى لا يشعر به
السامع لشدة الالتئام بين الأمرين . ويقرب من حسن التخلص
الانتقال من حديث إلى آخر تنشيطا للسامع مفصولا بينهما
(بهذا) كقوله في سورة (ص) بعد ذكر الانبياء . هذا
ذكر وأن للمتقين لحسن مآب

فهذه هي الاصول التي مشى عليها القرآن في الجمع بين
تلك الفنون التي تنزل لاجلها في سورة وفي الانتقال من
غرض إلى غرض آخر من الأغراض التي تندرج تحت
الغرض العام لكل سورة . وقد تكون هناك أصول أخرى
غير التي ذكرناها . ولسنا في مقام حصر تلك الاصول وإنما
نريد الارشاد والتقريب . مستفنين بما ستذكره في كل سورة
من وجوه الربط والاتصال بالتفصيل عن الاطناب في
هذا المقام وفيما ذكرنا من ذلك كفاية

فاتحة القرآن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين
اياك نعبد و اياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين
انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين »

لم تسم هذه السورة فاتحة القرآن لانها اول سورة كما
يظن الكثيرون . وانما سميت بهذا لانها للقرآن بمنزلة
المقدمة للكتاب . فكما ان نظام التأليف يقتضى ان لا
يفاجئ المؤلف قراء كتابه بمقصوده منه . بل لا بد ان يضع
امامه مقدمة تبين غرضه من وضعه . لتكون ادعي للاقبال
عليه . كذلك لم يشأ القرآن الا ان يقدم امام مقصوده مقدمة
تشرع به وتبين الغرض من انزاله للبشر

ولم يكد القرآن يتقدم هذا النظام الذى لم يسبق اليه
فى اللغة العربية ولا غيرها على ما نظن . حتى هذا خذوه كل
الكتاب . وسلك سبيله كل المؤلفين . وفى هذا ابرر دلالة
على انه اتى فى نظام وضع المقدمات للكتب باحسن نظام واكمل

لا يمسك المؤلف قلمه ليخط أول سطر في كتابه الا
وقد احاط به أجمالاً . وتوفرت الدواعي عنده الى وضعه .
فن الواجب عليه قبل أن يشرع في شئ من كتابه أن يحمد
الله الذي هداه لهذا . وأن يشكره علي ما اوجده فيه من
تلك الدواعي التي لولاها لما توجهت نفسه إليه . وقد قال الله
تعالى — لنن شكرتم لا زيدكم . فبحمد الله يستمد العون منه
ويقوى علي اتمام مقصوده

وكذلك هو في حاجة الى الالتجاء الى الله بالدعاء لينال
منه امداد او عوناً فوق الذي يناله بتقديم الحمد والشكر .
وقد قال الله تعالى — ادعوني استجب لكم — وبهذا وذلك
وجب في كل مقدمة كتاب أن تشتمل على هذين الركنين
الحمد والدعاء — يضاف اليهما وكن ثالث هو براءة الاستهلال
وهو أن يوثق قبل الشروع في المقصود بما يشعر به . ليعرف
القارئ الغرض من وضع الكتاب . ويكون على بصيرة
منه قبل الشروع فيه . ولا يكون كمن يسير في طريق لا
يعرف الى اين ينتهي به

فهل فاتحة القرآن أو قل مقدمته تشتمل علي تلك

الاركان الثلاثة ؟ الجواب نعم

أما اشتغالها على الحمد والدعاء فلا خفاء فيه . فقد افتتحت
بها الاول واختتمت بالثاني . ومرتبة الحمد قبل مرتبة الدعاء كما
يظهر بأدنى تأمل

وأما اشتغالها على براعة الاستهلال فظاهر أيضا . لأن
سورة الفاتحة تشتمل على ما حقق في كتب التفسير على معان
القرآن واغراضه اجمالا . وفيها اشارة الى ان المراد وضع
تشريع جديد . وهدى الناس الى الصراط المستقيم والدين القويم
الذي اتى به الانبياء . وضل الناس عنه بفعل من خلفهم من
الاتباع والرؤساء الذين حرقوا كتبه وأدخلوا فيه كثيرا من
الزيف والضللال . وهذا هو الغرض من القرآن الكريم
وبالاشارة اليه في الفاتحة ثم اشتغالها على الاركان الثلاثة
اللازمة لمقدمة الكتاب . وباشتمال الفاتحة عليها تبين أن
للقرآن مقدمة كسائر الكتب . وأنه لم يخالف قانون
الكتابة في ذلك كما زعم الزاعمون

ولقد كان العرب في الجاهلية يفتتحون كلامهم (باسمك
اللهم) وهي كلمة جافة تناسب ما كانوا عليه من غلظة الطبع

وفسوة النفوس . فاستبدل القرآن بهذا « بسم الله الرحمن الرحيم » وأثر هذين الاسمين على غيرهما من اسماء الله الكريمة لاجل أن يشير الى أن الدين الجديد دين رحمة لا يأخذ النفوس بالقسوة . ولا يكافها مالا تطيق . وأن ديننا هذا شأنه لجدير بأن يقبل الناس عليه . ويسيروا تحت لوائه . فانظر ماذا في الافتتاح « بسم الله الرحمن الرحيم » من الترويج لهذا الدين الجديد . وهكذا كل شارع في امر جديد لا يغفل عن الترويج له . والتنبوية بشأنه . وكم تحت آيات القرآن من اسرار ودقائق

سورة البقرة

سميت هذه السورة بذلك لأن قصة البقرة التي ذكرت فيها اهم شيء يمكن أن تمتاز به عن غيرها . والغرض منها دعوة بني اسرائيل الى الايمان . وأنما قدم دعوتهم على غيرهم من النصاري والمشركين لانهم أقدم من النصاري ولأن كثيرا منهم كان قاطنا بجوار المسلمين بالمدينة . ولانهم أهل كتاب بخلاف المشركين فأمرهم اهم من أمرهم

ولما كان القرآن هو الداعي إلى الإيمان وجب الاهتمام
بأثبات أنه من عند الله قبل البدء بتلك الدعوة ليكون ذلك
كتمهيد لها . ولما كان الإيمان عبارة عن أصول وفروع وكانت
منزلة الأصول قبل منزلة الفروع جعل دعوتهم علي قسمين
فدعاهم في الأول إلى أصول الإيمان من التصديق بالنبي والقرآن
وسائر ما جاء به وأقام لهم الأدلة على نبوته ودفع ما عندهم
من شكوك فيها . ودعاهم في الثاني إلى فروعها فبين لهم
من أحكامه العملية ما شاء . وقد مهمهم بالدعوة إليها في أول
حكم منها ثم خاطب المؤمنين بها لانهم المقصودون بها والذين
يقومون بما كلفوا به منها

ولما فرغ من هذا وذلك وقام بواجب الدعوة من الوجهة
النظرية فأقام الأدلة ودفع الشبه وبين ما أراد من محاسن
أحكام الاسلام . انتقل الى بيان وسائل نجاح الدعوة من
الوجهة العملية فرغب النبي والمؤمنين في القتال في سبيل
الله . وأنفاق المال في أعلاء كلمته . ثم ختم السورة بالتنويه
بشأن من اجاب الدعوة ولم يتكبر كما تكبر نبي اسرائيل بل
سمع وأطاع وعد ذلك قليلا بحساب ما الله عليه من حقوق

وواجبات فهذه أمور خمسة تعرضت لها هذه السورة تراها
متناسبة الوضع . حسنة الترتيب . لها تمهيد ومقاصد وخاتمة
كأنى يصنع مثلها في الكتب الوضعية
﴿ القرآن من عند الله ﴾

الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين
الآيات الى قوله تعالى
والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون

اثبت أن القرآن من عند الله بدليلين أولهما أن القرآن
هاد الى الصراط المستقيم . وكل ما كان كذلك فهو من عند الله
لان من يدعو الى الله ويهدي اليه لا يصح أن يكذب عليه
ثم ذكر أن من لم يهتد به اما معاند وأما منافق . فالاول
قد ختم الله على قلبه فلم يهتد به . والثاني في قلبه مرض يقف
به في نصف الطريق فيؤمن بلسانه ولا يؤمن بقلبه . ومثله في
هذا الايمان الذي لم ينتفع به كمثل من أوقد ناراً اضاءت ماحوله
ولم تلبث أن ذهبت قبل أن تضيئ نفسه . وقد ذهب في بيان
حال الفريقين ما شاء ثم أمرم أن يؤمنوا بالله الذي خلقهم

ويتركوا العناد والنفاق

وثاني الدليلين أنه لو كان القرآن من عند النبي لا يمكنهم أن يأتوا بمثله . فهو من عند الله لا من عنده .

وبعد أن قرر هذين الدليلين دفع ما اعترضوا به من أن فيه ما لا يصح أن يكون من عند الله من ضرب المثل بالبعوض والذباب . فقال أن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها . فكل ما يفعله الله لا يخلو من حكمة . علم ذلك المرمنون فاهتدوا . وجهل به الكافرون فضلوا وكفروا بالله وهو الذي أحياهم من العدم النخ الخ

ثم ضرب قصة آدم لذلك مثلاً . وبين أن لللائكة وهم أرق منهم كانوا يجهلون حكمة الله في خلق آدم فلما علموا بها أقروا بفضله . وأمرهم بالسجود له فاطاعوا . وعلموا أن كل شيء من الله فهو لحكمة وإن خفيت عليهم . أما إبليس جهل ذلك كما جهل الكفار الحكمة في ضرب الأمثال . وعاند مع جهله كعنادهم . فكان جزاؤه الطرد من الجنة . وإن حقت عليه اللعنة إلى يوم القيامة

﴿ دعوة بنى اسرائيل الى الايمان ﴾

يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وافوا
بعهدي اوف بعهديكم واياى فارهبون
الآيات الى قوله تعالى

وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبتروا منا كذلك
يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار

قد سلك فى دعوة هؤلاء القوم طريقين اولهما يتعلق
بهم من حيث انهم شعب خاص من ولد اسحاق بن ابراهيم
والثانى يتعلق بهم من جهة ابناء عمهم اسماعيل بن ابراهيم. وقد
عنى فى كل من الطريقين بأمرين اولهما دعوتهم الى الايمان
بمختلف الوسائل من اقتناع وترغيب وترهيب وغيرها. والثانى
دفع ما عندهم من شبه واعتراضات

الطريق الاول (١)

بدأه بتذكيرهم بنعم الله عليهم ترغيبا لهم فى الايمان.
وبالعهد الذى اخذه عليهم أن يؤمنوا بهذا النبى. ثم ذكرهم
ثانيا بنعمه. ليسلك بهم سبيل الترهيب ويحذرهم بوما لا

تجزى نفس عن نفس شيئا. ثم اخذ يقص عليهم أخبار آباؤهم
 الاولين واحدا اثر واحد وكيف كانوا يجازون على الطاعة
 بالخير العظيم . وعلى المعصية بالمصائب والشدائد. لتأين قلوبهم
 ويحذروا مما وقع فيه اسلافهم . ولكنهم قست قلوبهم من
 بعد ذلك حتى صارت كالْحِجَارَةِ أو اشد قوة (وأن من الحجارة
 لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشفق فيخرج منه الماء وان
 منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون)

(٢)

ثم ذكر أن مثل هؤلاء لا يطمع في إيمانهم لأنهم فريقان
 فريق عرف صدق النبي ولكنه لا يرضى أن يغضب قومه
 وفريق أعماه الجهل فلا يعرف من الكتاب المنزل عليه الا امانى
 كاذبة . منها أنهم يزعمون ان النار لا تمسهم الا أياما معدودات
 مع ان من كسب سيئة واحاطت به خطيئته فهو مخلا في النار
 (والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم
 فيها خالدون)

(٣)

ثم اخذ يقص ما كان من اسلافهم مع أنبيائهم من تقص

عهودهم وتكذيب كل من جاءهم منهم بما لا تهوى انفسهم
 أو قتله . وهذا هو الذى يفعله خلفهم مع هذا النبى وقد كانوا
 يستفتحون به على أهل يثرب قبل أن يهاجر اليهم . فلما جاءهم
 ما عرفوا كفروا به بغيا وحسدا . وقالوا عندنا التوراة أمرنا
 أن نؤمن بها ونكفر بما وراءها . ولو كانوا يؤمنون بها
 كما يزعمون ماقتلوا الانبياء الذين جاؤوهم لتقريرها . ولما عبدوا
 العجل والاوثان من بعد وفاة موسى بل فى حياته لما تركهم
 لئسمع وحى الله فوق الطور فاستغواهم السامرى الى عبادته
 ولما آثروا الحياة الدنيا على الآخرة التى تكون خالصة لهم
 لو كانوا المؤمنين . فهم احرص الناس على الحياة وأبعدهم
 عن العمل الآخرة . ولما عادوا جبريل لانه نزل عليك القرآن
 بأذن الله وهو من الملائكة الذين لا يعاديهم الا الكافرون
 (من كان عدو الله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فأن
 الله عدو للكافرين)

(٤)

ثم ذكر أن الذى انزل عليه ليس مما امروا أن يكفروا
 به وإنما هو آيات بينات ما يكفر بها الا الفاسقون . وقد

اخذ عليهم العهد أن يؤمنوا بها اذا جاءتهم لا أن يكفروا بها . واكنهم نبذوا ذلك العهد واتبعوا كتب الكفر والسحر التي ينسبها الاشرا كذبا إلى سليمان بن داود (ولو انهم آمنوا واتفقوا لمشوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون)

دفع الشبهة

هذا هو المقصد الثاني في هذا الطريق . وقد ابتدأه بتحذير المؤمنين من هؤلاء القوم ومما كانوا يؤذون به النبي من قولهم راعنا وغيره . وبين انهم لا يودون لهم من خير . كل هذا تهديد الماسيذ كره من شبههم وتحذير الهم منها . وقد ذكر لهم شبها ثلاثة أولها تتعلق بالنسخ فزعموا انه لا يجوز على الله . وقد اجابهم عنها بأن في النسخ من المصاححة ما يقطع معها بجوازه . وبأن الله له ملك السموات والارض ينسخ ما يشاء ويثبت ولا شريك له في ملكه . ولاحق لاحد في أن يسأل رسوله عن ذلك سؤال تعنت كما كان يسأل موسى من قبل . وأن مثل هذا السؤال لا يولده في نفوس اليهود الا الحسد والحقد على المؤمنين . والواجب عليهم أن يتقابلوا هذا بالعفو والصفح حتى يأتي امر الله بالفتح والنصر

ثانيها ما زعموه من أنه لا يدخل الجنة الا اليهود والنصارى
وقد اجاب عن هذا بأنه من الاماني الكاذبة وانما تدخل الجنة
بالاعمال الصالحة . وبأن اليهود والنصارى ليسوا علي اتفاق
في ذلك . فاليهود تقول في النصارى انها ليست علي شيء كما
تقول النصارى مثل هذا في اليهود فكذلك يقولون مثل
هذا في غيرهم . وكلها أقوال فارغة يعلم الله انها باطلة . ومن
أظلم من اليهود والنصارى وكل منهما يسعى في تخريب بيوت
الآخر التي يذكر فيها اسم الله كما خربت النصارى بيت المقدس
لان اليهود يولون وجوههم اليه أما المسلمون فلا يستحيون
تخريب تلك البيوت ويرون أن الانسان أينما ولى وجهه فجهة
وجه الله سواء تلك البيوت وغيرها . ثم هم مع ذلك يعبدون
مع الله آلهة أخرى أولادا وأندادا ونحوها

وثالثها ما زعموه من أنه لا معجزة لهذا النبي كغيره
من الانبياء وقد أجاب عن هذا بأن الله أرسله بالحق الواضح
بشيرا ونذيرا فليس في حاجة إلى مثل تلك المعجزات . وبأن الله
يعلم أنهم لا يرضيهم منه ألا أن يتبع ملتهم ولو جاءهم ببتلك
الآيات . وبأن الكتاب الذي أنزل عليه هو معجزته عند من

يتلوه حق تلاوته (أولئك يؤمنون به ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون)

الطريق الثاني

بداءه أيضا بتذكيرهم بنعم الله عليهم وأنه فضلهم على
غيرهم ترغيبا وبتخويفهم من يوم لا تجزى نفس عن نفس
شيئا ترهيبا . ثم أخذ يقص عليهم من اخبار جددهم ابراهيم
ومهم اسماعيل ما يثبت لهم فضل العرب الذين بعث النبي
منهم . وقد كانوا يرونهم أمة حقيرة لا يصح ان يبعث منها
نبي من الانبياء . فذكر أنهما هما اللذان بنيا البيت وجعلاه
قبلة للناس وشرعا الحج اليه . وطلبا من الله أن يجعله أمنا
للناس وأن يرزق أهله من الثمرات . وأن يبعث فيهم رسولا
منهم يعلمهم الكتاب والحكمة ويرشدهم إلى صلة ابراهيم
التي لا يرغب عنها الا من سفه نفسه من اليهود والنصارى
ومشركى العرب الذين يفخرون بنسبتهم إلى ابراهيم واسماعيل
واسحاق ويعقوب ويخالفون شريعتهم التي وصى بها ابراهيم
بنبيه من بعده (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم
ولا تسألون عما كانوا يعملون)

دفع الشبهة (١)

ثم ذكر لهم شبهتين في هذا الطريق أولاها أنهم زعموا أن اليهودية أو النصرانية هي ملة إبراهيم وقد اجاب عن هذا بأن ملة ابراهيم كانت شريعة الانبياء من ابراهيم الى موسى وعيسى . فهي لا تفرق بين نبي ونبي كما تفرق اليهودية الموجودة الآن والنصرانية

والثانية أنهم زعموا أن ذلك البيت لم يكن قبلة الانبياء وأنما هي بيت المقدس . فنبتولى عنها إلى ذلك البيت بعد أن كان يستقبلها تبعاً للانبياء من قبله لا يكون نبيا وقد اجاب عن هذا بجوابين أولهما أن المشرق والمغرب والجهات كلها لله فله أن يختار منها أي جهة شاء . والثغالي في مسألة القبلة الى هذا الحد لا يليق بالامة الاسلامية التي جعلها الله أمة وسطا واختار لها ديننا لا أفراط فيه ولا تفريط . وأنما جعل الله قبلة المسلمين ذلك البيت لانه رأى نبيه يقبل وجهه في السماء ليجمعه قبلته بعد أن رأى أن اليهود لم يشمر فيهم تحويل القبلة الى بيت المقدس . ورأى ان الاسلام لا يقوم الا بالعرب الذين لا يرضون الا ذلك البيت قبلة لهم . لان في ذلك

حياتهم وتحقيق دعوة جدهم ابراهيم
 ثانيهما ان اهل الكتاب يعلمون ان استقبال ذلك البيت
 هو الحق ولكنهم يكتُمونه تعصبا ولا يتبعونه كما لا يتبع
 بعضهم قبلة بعض . فهم يعرفون كما يعرفون ابناءهم ان
 النبي الذي يبعث من ولد اسماعيل يستقبل ذلك البيت الذي
 بناه مع ابيه ابراهيم فالواجب على المسلمين أن يستقبلوه
 حينما كانوا لئلا يكون لاهل الكتاب حجة عليهم اذا تركوه
 الى غيره . وليعلموا ان الله اراد ان يتم نعمته عليهم بذلك بعد
 ان جعل رسوله منهم . فليشكروا الله وليستعينوا على اذى
 هؤلاء القوم بالصبر والصلاة . فسيصيبهم من ذلك الاذى
 شيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس ولكن
 ذلك تكون عاقبته خيرا اذا تحمله المسلمون والتجأوا الى الله
 في دفعه عنهم (اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك
 هم المهتدون

(٢)

ثم ذكر ان الصفا والمروة كالبيت الحرام من شعائر
 ابراهيم . وأن هذا معلوم لليهود أيضا ولكنهم يكتُمونه

من بعد ما بينه الله لهم في الكتاب . وأوعدهم على هذا بأن
عليهم لعنة الله (خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم
ينظرون)

(٣)

ثم ختم دعوتهم إلى الإيمان بتذكيرهم بأن الله واحد
وأن هذا لا يتفق مع اتخاذهم رؤساءهم اندادا يحبسونهم
كحب الله . ويطيعونهم في رفض دعوته طاعة عمياء . مع
أنهم لا يفتنون عنهم من عذاب الله شيئا بل يتبرأون منهم
حينما يرون هول ذلك العذاب . وحينذاك يقول الذين
اتبعوهم (لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبراؤا منا كذلك
يرهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار)

احكام الايمان

يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا
خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين

« الايات الى قوله تعالى »

كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون

الاحكام التي ذكرت في تلك الايات هي - ا - تحليل
الطيبات التي حرمها الكافرون على انفسهم اتباعا للشيطان ان
ولما وجدوا عايه آباءهم ولو كانوا لا يعقلون شيئا . واتما حرم
الله عليهم الميتة والدم ولحم الخنزير لا غيرها . ولكنهم
يكتفون ما انزل الله في ذلك ويشترون به ثمنا قليلا . وليس
من البر ان يفعلوا ذلك الامر الكبير . ويهتمون بالاسور
الثانوية في الدين كتولية الوجوه في الصلاة الى الشرق
والمغرب وانما البر اعتقاد صحيح (بالله واليوم الآخر والملائكة
والكتاب والنبين) وعمل جميل من صدقة وغيرها . وخلق
حسن من صبر وصدق وغيرها . فان هذا هو الذي
يصد عن اتباع الباطل وكنم الحق مما انزل الله - ٢ -
القصاص وانه يجب فيه أن يؤخذ الحر بالحر . والعبد بالعبد
والانثى بالانثى . وأن العفو وأخذ الدية جائز في الاسلام
- ٣ - طلب الوصية للوالدين والاقربين عند الموت - ٤ -
فرض صيام شهر رمضان على الذين يطيقونه . ووجوب
الغدية على من لا يطيقه لعذر دائم . ووجوب قضائه على
من يفوته صيامه لعذر طارئ . وندب احيائه بالذكر والتكبير

والدعاء . وتحريم الرفث في نهار رمضان ونجوسه في ايته
 ونجويس الاكل والشرب حتى يتبين الخيط الايض من
 الخيط الاسود من الفجر - ٥ - تحريم اكل اموال الناس بالباطل
 - ٦ - عدم جواز الحج الا في مواعيده التي جعل الله الالهة
 موافقت لها . وابطال اتيان البيوت من ظهورها حين الالهلال
 ونجويس القتال فيه - دفاعا عن النفس الخ - ٧ - تحريم
 الخصام والسعي في الارض بالفساد . وذم من يفعل ذلك
 من الناس ومدح من لا يفعله ويشتري نفسه ابتغاء مرضاة
 الله . فلا يخاصم من يخاصمه . ولا يؤذى من يؤذيه . وقد
 حذر المسلمين أن يسلكوا مسالك من قبلهم من التنابد وترك
 الاتحاد والمسالمة . والا قضي عليهم كما قضى على بني اسرائيل
 وقد اغتروا بما أنعم الله عليهم . وزينت لهم الحياة الدنيا فتنابدوا
 وتخاصموا . وسخر بعضهم من بعض . وكان هذا سببا في
 زوال نعمتهم . وذهاب دوائهم . وقد كان الناس قبل هذا
 التفرق امة واحدة . لانه لا غنى لبعضهم عن بعض . وقد
 ارسل الله النبيين مبشرين ومنذرين وداعين الى الاتحاد
 وانما حصل هذا الاختلاف بعدم من اتبعهم حينما بنى

بعضهم على بعض . وأذى الذين ضلوا بملهم من بقى متمسكا
 بهديهم . ولا ينتظر منهم الآن الا ان يفعلوا معكم مثل الذى
 فعلوه مع من قبلكم . فقد مستهم البأساء والضراء منهم . وزلزلوا
) حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه حتى نصر الله الا
 أن نصر الله قريب (- ٨ - حكم النفقة من جهة تصرفها
 وانها تصرف للوالدين والاقرين الخ - ٩ - فرض القتال
 وانه يجوز فى الاشهر الحرم للضرورة - ١٠ - تحريم الخمر
 والميسر - ١١ - حكم النفقة من جهة أنها تصرف من فضل
 الاموال - ١٢ - حل كفالة اليتامى بالاصلاح ومخالطتهم
 فى المسأكل والشرب - ١٣ - تحريم نكاح المشركات -
 - ١٤ - تحريم الوطء فى الحيض وتجويز اتيان النساء فى
 قبلهن انى شاء الانسان - ١٥ - حكم الحلف بالله - ١٦ -
 حكم الايلاء وعدة المولى عليها - ١٧ - عدة المطلقة بعد
 الدخول وجواز مراجعتها بلا محلل ان طلقت مرة او مرتين
 وععدم جوازها الا به أن طلقت ثلاثا وتحريم إمساكها
 ضرارا بأن يراجعها فى آخر عدتها ليطلقها ثانيا وتستأنف
 عدة أخرى وتحريم منعها من الزوج بعد انقضاء عدتها

غيرة عليها. فإذا كان لها ولد فلها حق الرضاع والنفقة حواين
 كاملين - ١٨ - عدة المتوفى عنها زوجها وتجويز التعريض
 بخطبتها في أثناء عدتها - ١٩ - نفى العدة للمطلقة قبل الدخول
 واثبات المتعة لها إذا لم يسم لها مهر. فإن كان لها مهر فلها
 نصفه. والأقرب للتقوى أن تعطاه كله. وأن لا ينسى
 المطلق والمطلقة ما كان بينهما من فضل ومودة. حتى لا
 يكون الطلاق سبباً للتقاطع والفرقة بين المسلمين. ولا
 شيء يذهب أثره غير المحافظة على الصلوات التي شرعت
 لجمع الكرامة وإزالة التقاطع. فيجب على المسلمين المحافظة
 عليها في كل حال. ولو عظم الخوف واشتد القتال. وإن
 يعلموا أن المتوفى عنها زوجها أحق بتطبيب خاطر من
 المطلقة قبل الدخول. فيحسن أن تمتع أيضاً وأن ينفق عليها
 حولا في بيت زوجها. إلا إذا شاعت الخروج من نفسها
 بل يحسن تمتيع المطلقات كلهن ولو كان طلاقهن بعد الدخول
 بهن. فذلك قوله تعالى (وللمطلقات متاع بالمعروف حقا
 على المتقين. كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون)

وسائل نجاح الدعوة

الم تر الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت
فقال لهم الله موتوا ثم أحيوا ثم أن الله لذو فضل على الناس
ولا يكن أكثر الناس لا يشكرون
الآيات الى قوله تعالى

لله ما في السموات وما في الارض وأن تبدوا ما في أنفسكم
أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء
والله على كل شئ قدير

(١)

وسائل نجاح الدعوة أمران . الجهاد بالنفس وبذل المال
وقبل أن يأمر المؤمنين بالجهاد بين لهم أن الذي يضمن النجاح
للمجاهدين شجاعة النفس . لا كثرة العدد . فنبههم الى قصبة
الذين خرجوا من ديارهم خوفا من عدوهم وهم الوف كثيرة .
ولما قضى الله على ذلك الجيل الذي خرج من بلاده جبننا مع
كثرتهم عاد خلفهم فاستردوا بلادهم مع قلتهم بشجاعتهم
ثم أمر المؤمنين بالقتال ووعدهم عليه بالاجر وبسط
الرزق وهذا بنصرهم على أعدائهم كما نصر هؤلاء القوم على

اعدائهم بعد أن اخرجوهم من ديارهم
ثم بين أن هؤلاء القوم كانوا من بني اسرائيل اخرجهم
الفلسطينيون من ديارهم فطلبوا من نبيهم أن يولى عليهم
ملكاً يحاربون تحت رايته اعداءهم فنصب لهم طالوت ملكاً
وذهب بهم الى قتال اعدائهم فغلبوهم مع قاتهم وقتل داود
وكان غلاماً يرعى الغنم (جالوت) جبار الفلسطيني. فجازه
الله على ذلك بالملك والنبوة وعلمه مما يشاء الخ

ثم ذكر أن هذه القصة ما كان النبي ليعرفها وهو أسمى
لو لم يكن من المرسلين الذين بعثهم الله للناس وفضل بعضهم
على بعض وأيدهم بمختلف المعجزات. ولو شاء الله لهدى
أقوامهم من بعدهم فآمنوا بهذا النبي الذي جاءهم بالآيات
البيّنات من هذه القصة وغيرها. ولكنهم اختلفوا (فنههم من
آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل
ما يريد) (٢)

ثم تكلم بعد هذا على الجهاد بالمال فأمرهم بالاتفاق مما
رزق الله من قبل أن يأتهم يوم لا ينفعهم فيه خلة ولا شفاعاة
فأن الله هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ولا شريك

له ولا شفيع (وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤوده
حفظهما وهو العلي العظيم) (٣)

ثم بين أن الغاية من الجهاد ليست اكرام للناس على
الدخول في الدين . وانما هو للدفاع عن النفس . فان الايمان
بتوفيق الله يخرج به المؤمن من الظلمات الى النور . ومن لا
يريد ايمانه لا ينفع فيه حيف ولا اكرام . فهذا نمرود غلبت
عليه الشقوة فلم تقدم معه حجة ابراهيم التي بهت بها . وهذا
الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها . اراد الله هدايته
فاهتدي بالآية التي اراه اياها . وهذا ابراهيم (قال ربني
ارني كيف تحيي الموتى قال او لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن
قل قال فخذ اربعة من الطير فصهرن اليك ثم اجعل على كل جبل
منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سميا واعلم ان الله عزيز حكيم)
(٤)

ثم تكلم على احكام الجهاد بالمال وأولها أنه يجب أن
يكون في سبيل الله وابتغاء مرضاته . ليضاعفه له في الدنيا
ويدخره أجرا عند ربه في الآخرة . اما الذي ينفق ماله
للغن والأذى يخبر منه قول معروف ورد جميل لانه لا فائدة

فيه . ومثله كمثل صفوان عليه تراب اصابه مطر فتركة صلدا
أما الذي ينفق ابتغاء مرضاة الله فهو كجنة ربوة اصابها مطر
فانت أكلها ضعفين . وانه لا يابق بما قل أن يبطل صدقاته
بالمن كما لا يودان تكون له جنة فيها من كل الثمرات فيصيبها
أعصار فيه نار فيحرقها

وثانيها أنه يجب ان ينفق الانسان من أحسن ما عنده
ولا يسمع للشيطان الذي يحسن له الاتفاق من الخيب
ويخوفه من الفقر . وأنه لا يبلغ في الاتفاق هذه التزلة منزلة
ايتار الغير بأطيب الكسب الا من يكون قد بلغ درجة
الحكمة . ومن نال هذه الدرجة فقد اتى خيرا كثيرا

وثالثها ان الله يعلم ما ينفقه العبد في السر والعلن . وأن
اخفاء الصدقة أحسن من إعلانها . وأنه لا يؤثر اخفاء الصدقة
الا القليل من الناس الذي اراد الله هدايته . وعلم انه يكتسب
من صدقته عند الله اكثر مما يكتسبه العبد منه . وأن الصدقة
الحقيقية ما تكون لوجه الله لا ليتحدث بها الناس

ورابعها أن أحق الناس به الفقراء (الذين احصروا
في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض بحسبهم الجاهل

غنياء من التعفف) الآية (٥)

ثم استأنف الكلام في فضل الانفاق في سبيل الله
وعلاية ليبين فضله على الربا الذي كانوا يتعاملون به وما كان
يليق ان يتركهم يتعاملون بالربا بعد أن امرهم بالانفاق . فخرم
الربا وبين انه ليس مثل البيع . وهدد من يتعامل به بالنار
في الآخرة وبمح محاله في الدنيا . ووعد الذين يتركونه به عظيم
الاجر . وامر من كان يتعامل به أن يترك ما بقي له منه
ويقتصر على رأس ماله . وان يعمل للمعسر من غرمائه إلى أن
يزول عسره . ثم حذرهم أن عادوا إلى الربا من يوم يرجعون
فيه إلى الله (ثم توفي كل نفس ما سببت وهم لا يظلمون)

(٦) ك

ثم ذكر حكم القرض بعد حكم الانفاق والربا استيفاء
للاقسام وتتميمها للكلام . لان المال أن بذل للغير لا يترد فهو
الانفاق . وأن بذل له ليسترد فأن كان في مقابلة نفع فهو
الربا . والا فهو القرض

فبين أنه يطلب كتابة الدين . والأشهاد عليه . فأن لم
يكن كاتب قرضه أو مقبوضه . ومن طلب للشهادة فلا يكتبها

وليعلم ان الله سيحاسبنا على شهادتنا (فيغفر لمن يشاء ويمذب
من يشاء والله على كل شئ قدير)

الخاتمة

آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون — الآية
الى آخر السورة

دعا بنى اسرائيل الى الايمان بما انزل الله فأعرضوا .
فأعرض عنهم وقال يكفيننا أن يصدق به الرسول وأتباعه
ثم بين تواضعهم في ايمانهم ليظهر فضلهم على بنى اسرائيل
واستكبارهم في كفرهم . فهم مع ما نالهم من الفضل بأيمانهم
يقولون (لا يكاف الله نفسا الا وسعها لها ما اكتسبت وعليها
ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو اخطأنا ربنا ولا
تحمل علينا اصر اكما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا
ملا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا
فانصرنا على القوم الكافرين)

سورة آل عمران

سميت تلك السورة بذلك لذكر قصة آل عمران فيها.
ومن يقرأ هذه السورة جملة يجد أنها نزلت وقد كثرت المسلمون
وأقبلت الدنيا عليهم. واصبحوا لا يرهبون اعداءهم من
اليهود والنصارى. فاختلطوا بهم واتخذوا منهم اولياء وبطانة
وامتدت أعينهم إلى ما عندهم من اموال وفيرة. وقناطير مقنطرة
من الذهب والفضة والخييل المسومة. فأخذوا منهم واعطوا
وعاملوهم بالرأى وتعاملوا به. واحبوا المال حبا جعلهم يقاتلون
للمشركين حبا فيه. ويخالفون امر الرسول كما حصل في غزوة
أحد لأجل الحصول عليه. وما كان أعداءهم من اليهود
والنصارى يخلصون في مودتهم وإنما أرادوا الوصول إلى
التأثير عليهم في دينهم بواسطة ما فيه من المتشابه وغيره وكان
لهذا نتيجة سيئة ظهر أثرها في غزوة أحد. أذهزم المسلمون
فيها شر هزيمة لأول مرة. واصبحوا يرون لانفسهم رأيا
مع رسول الله. فقد رأى ان يقاتل المشركين في المدينة فرأوا
اغترارا بكثرتهم أن يقاتلوهم في أحد. وأمر الرماة ان لا

يبرحوا امكانهم فبرحوه الى جمع المال وكان ما كان مما قدر
الله . فنزلت سورة آل عمران لدفع الشبه التي حاول النصارى
واليهود ان يؤثروا بها في نفوس المسلمين . ولتحقير ما أحبوهم
له من متاع الحياة . ولتحذيرهم من التودد اليهم وبيان الاضرار
التي طادت عليهم من الاغترار بهم . وينحصر ذلك في مقدمة
ومقصدتين وخاتمة

فالمقدمة في تمهيد الاصول التي تندفع بها شبههم . وتحقير
ما عندهم من اسباب الغنى والعظمة التي يخافون من زوالها
اذا أسلموا بجانب ما انعم الله به على المسلمين من دينه الحنيف
واعده لهم من السعادة الآخروية . والمقصد الاول في دفع تلك
للشبه . والمقصد الثاني في تحذير المسلمين من التودد اليهم
وبيان سوء اثره فيهم . والخاتمة فيما يجب ان يعنى به المسلمون
بدل الاغترار بمتاع الحياة . من النظر في ملكوت السموات
والارض . وتكميل النفس بالعلم والايمان . لتنال السعادة الابدية
بدل ذلك المتاع القليل . وهذا وقد عني هنا بأمر النصارى ودفع
شبههم وأبطال عقائدهم اكثر من اليهود بعكس سورة
البقرة فلذلك ذكرت هذه السورة بعدها

المقدمة

الم الله لا اله الا هو الحى القيوم
الآيات الى قوله تعالى

الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين
بالاسحار

مهدي للمقاصد الاتية فى هذه السورة بأمر أولها أن
الله واحد حى قيوم — ثانيها أن الله كما انزل القرآن والتوراة
والانجيل لنهتدى بها . خالق لنا العقل (الفرقان) لنفرق به
بين الحق والباطل . وندع التعصب الذى يعنى الذين يكفرون
بآيات الله فلا يستعملون عقولهم ليهتدوا بها — ثالثها أن
الله عالم بكل شئ فى الارض والسماء . ويصورنا فى الارحام
كيف يشاء . بواسطة ماء الاب ومن غير واسطته — رابعها
أن القرآن فيه محكم ومتشابه ومن الواجب أرجاع المتشابه
الى المحكم . ولكن الذين أعماهم الغرور بكثرة المال والولد
يتبعون المتشابه ليفتنوا المسلمين . وهى لا تغنى عنهم من
قته شيئا كما لم تغن عن آل فرعون والذين من قبلهم أموالهم

وكلما تغن عن كفار قريش في غزوة بدر كثرتهم وكانت
 فتهم ضعف فئة المسلمين . على أنها لا تذكر بجانب ما اعدده
 الله في الآخرة للمسلمين (الذين يقولون ربنا اننا آمنّا فاعفر
 لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار. الصابرين والصادقين والقانتين
 والمنفقين والمستغفرين بالاسحار)

دفع الشبهة

شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة وألوا العلم قائمًا
 بالحق لا اله الا هو العزيز الحكيم
 الآيات الى قوله تعالى
 يا أيها الذين آمنوا أن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب
 يردوكم بعد أيمانكم كافرين

(١)

قالت النصارى أن القرآن نص على أن المسيح روح من
 الله . وأنه ولد من غير أب . وهذا دليل على ألوهيته . فرد
 عليهم بأن الله واحد بشارته نفسه والملائكة وأولى العلم
 فالدين عند الله هو الاسلام لله وحده . وما خالفه أهل الكتاب

ألا وهم يعلمون انه الدين الحق. فأن كانوا طلاب حق لا رواد
 شبهه فليرجعوا إلى ذلك الدين ليهتدوا. والا فاعليك الا البلاغ
 والله بصير بهم وبما كانوا يأتون من قتل الانبياء ومن يأمر
 بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم. وبجبوط اعمالهم في
 الدنيا والاخرة. وكيف لا نجازيهم بذلك وقد دعوتهم إلى
 كتاب الله فأعرضوا. ولم يخافوا من اعراضهم عنك اغترارا
 بما يفترون من أن النار لن تمسهم الا أياما معدودة. وسيعرفون
 عاقبة غرورهم بأنفسهم وبأنهم ابناء الله واحبائه يوم توفى
 كل نفس ما كسبت. وتجازى بما عملت. فليدعوا ذلك الغرور
 فأن الملك لله وحده يعز من يشاء من المؤمنين. ويذل من
 يشاء من أولئك الذين قالوا أن النار لن تمسهم الا أياما معدودة
 وليعلم المؤمنون ذلك فلا يعزون بغيره من أعدائه
 ومن يفعل ذلك فليس من الثقة بالله في شيء. وليعلموا أن
 الله يعلم ما يخفونه من ذلك وما يظهره. وأنه لا يجتمع حب
 هؤلاء مع حب الله والرسول. فليحبوا الله وحده يحبهم.
 وأن تولى المنافقون واستمروا على موالاتهم (فأن الله لا يحب
 الكافرين)

ثم أخذ يفصل لهم أمر عيسى . وأنه من بيت اصفاه
 الله من عهد آدم الى نوح الى ابراهيم الى عمران والد مريم
 عليها السلام . ما منهم الابن أو تقي (ذرية بعضها من بعض)
 فيستحيل ان يشذ عنهم عيسى وبدعى لنفسه الألوهية . ثم
 ذكر ولادة أمه وفضل الله عليها وتربية زكريا لها ليشير الى
 أن مثلها يستحيل ان يأتي بعيسى من سفاح كما زعم اليهود
 وقد بلغ من أمرها أن زكريا تمنى ان يكون له ولد مثلها
 فرزقه الله يمجى في حين أن امرأته كانت عاقرا . وفي حين
 انه كان قد بلغ من السكبر عتيا . فهي ولادة عجيبة أيضا
 كولادة عيسى من غير أب . ولهذا ذكرها هنا معها تخفيفا
 لمراتبها . وتقريبا لها من العقول

ثم ذكر ولادة عيسى الى أن صار رسولا يخلق من الطين
 كهيئة الطير ويبرئ الأكمه والابرص ويحيى الموتى بأذن الله
 وداعيا الى عبادة الله لا الى عبادته الى أن توفاه الله ورفعه اليه
 فمثل عيسى في ولادته من غير أب . كمثل آدم في خلقه
 من تراب . كل منهما لا يدل على أن المولود له أو ابن الله

ثم ذكر أن هذا هو القصص الحق . وأن الواجب عليهم بعد هذا أن يجتمعوا معنا على كلمة سواء ديننا وبينهم (الانعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) (٣)

وقالت اليهود والنصارى للمسلمين الذين يدعون أنهم على ملة ابراهيم أن ابراهيم كان يهوديا او نصرانيا . وهذه هي الشبهة الثانية فردها عليهم وبين أنهم يجهلون دين ابراهيم كل الجهل . فمعجيب أن يحاجوا فيه كما يحاجون في دين موسى وعيسى الذي يعلمونه نوعا ما من العلم . فما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا . وان أولى الناس به الذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا به . وما يريد اهل الكتاب الا أن يضلوم من ملته . وما يضلون الا انفسهم اذ يكتمون ما عندهم من الآيات على أن الله سيبعث نبيا من ولد اسماعيل على ملة ابراهيم (ويلبسون الحق بالباطل ويكتمون الحق وهم يعلمون) (٤)

وكان من أهل الكتاب من يستعمل الحيلة والغش في

القاء الشبه في قلوب المسلمين فيؤمنون بالنبي ليكفروا به
 فيؤمنوا المسلمين انه لو كان على حق مارجموا عنه . وقبل
 أن يفعلوا هذا يأخذون على انفسهم العهود أن يرحموا اذا
 آمنوا ولا يؤمنوا الا لمن تبع دينهم فبين للمسلمين أنهم يفعلون
 هذا كراهة أن يؤتى غيرهم من الدين مثل ما أوتوا . اذ
 يرون انهم شعب الله الخاص . فيستحلون أن يكيدوا للمسلمين
 بهذا كما يستحل بعضهم اكل اموالهم ويقولون ليس علينا
 في الاميين سبيل . وكما يستحلون أن يلووا ألسنتهم بكتائبهم
 ويحرفوه عن معناه ليفتنوهم عن دينهم

ثم ذكراته لا يمكن أن يتبع النبي دينهم ليؤمنوا به
 وقد آتاه الله القرآن والحكم والنبوة والدين الصحيح . افتركه
 الى دين يأمر بعبادة غير الله . فيقول للناس كونوا عبادا الى
 من دون الله . ويأمرهم باتخاذ الملائكة والنبيين اربابا كما
 تفعل اليهود في عزيز والنصارى في عيسى والروح القدس
 هذا بعد أن اسلم الناس لله على يديه . وبعد ان أخذ الله الميثاق
 على النبيين وأتباعهم أن يؤمنوا بدينه ويتبعوه . أفيتبعهم
 وهم المأمورون باتباعه . أو يبعون غير دين الاسلام دين

الفطرة) (وله اسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها)
دين ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وموسى
وعيسى وسائر النبيين . ولكن كيف يهدى الله اليه قوما
كفروا بعد ايمانهم بأولئك الانبياء فغيروا فى دينهم وبدلوا
وشهدوا أن الرسول حق ولكن التعصب يعمدهم عنه .
اولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله الا من تاب منهم ولم
يصر على الكفر اصرارا يجعل التوبة منه بعيدة . فهذا جزاؤه
ان يخلد فى النار ولو انفق ملء الارض ذهباً صدقة فى قومه
ولا ينجيه من ذلك قداء فى الآخرة ولو كان قدر هذا الذى
تصدق به . فإنه لا طريق الى الجنة الا الايمان بالله وانفاق
الانسان مما يحب فى سبيله (لن تنالوا البر - الجنة - حتى
تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شئ فإن الله به عليم)

(٥)

وقالوا أيضا للمسلمين لو كنتم على ملة ابراهيم والنبيين
من بعده ما حلتكم ما كان محرما عليهم كالحم الابل . وهذه
هى الشبهة الخامسة

فرد عليهم بان كل الطعام كان حلالا لبني اسرائيل .

وأما حرم ما حرم عليهم بظلمهم . والتوراة شاهدة على ذلك
فأتوا بها لنظلمكم عليه . والا (فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا
وما كان من المشركين) (٦)

وقالوا كذلك لو كنتم على ملة أولئك الانبياء لاتخذتم
بيت المقدس الذى اتفقوا على تعظيمه قبلة لكم . ولم تصلوا
الى الكعبة بدله . وهذه هى الشبهة السادسة

فرد عليهم بأن الكعبة من بناء ابراهيم واسماعيل وفيها
كان يقوم ابراهيم لعبادة الله . اما بيت المقدس فن بناء
سليمان بن داود . فالكعبة أقدم منه وأشرف . وأنهم ليعرفون
ذلك بما عندهم من الآيات التى يكتُمونها . ويصدون بذلك
(عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء وما الله
بغافل عما تعملون)

المقصد الثاني

يأيتها الذين آمنوا أن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا
الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين .
الآيات الى قوله تعالى

والله ملك السموات والارض والله على كل شئ قدير

(١).

ابتدأ بتحذير المؤمنين من اهل الكتاب والاستماع
 لشبههم . وأمرهم بالتقوى والاعتصام بحبل الله وترك التفرق
 وان يكونوا أمة تدعوا إلى الخير وتأمر بالمعروف . فإنهم
 ما كانوا خير امة أخرجت للناس الا بهذه الخصلة العظيمة
 خصلة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . ولو أنصف أهل
 الكتاب لعرفوا ذلك الفضل لهم وآمنوا مثلهم . ولكنهم
 انقسموا قسمين . كافرون وهم الاكثرون . وهؤلاء لاشغل
 لهم الا أيداء المسامين بلسانهم . ومحاولة تشكيكهم في دينهم
 وأن يقاتلهم يولولهم الادبار ثم لا ينصرون . فقد ضربت عليهم
 الذلة والمسكنة بما كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء
 بغير حق وبما كانوا يعتدون

ومؤمنون وهم طائفة قليلة أثرت الاستقامة وأن
 تكون ممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر . فلن يضيع
 عليها ما قدمته من خير . بخلاف تلك الطائفة الفاسقة . فلن
 تنفي عنهم اموالهم ولا اولادهم من عذاب الله شيئا . ولا
 ينفعهم ما ينفقونه منها في هذه الحياة على انفسهم . ويكون

(كثل ربح فيها صرا أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته
وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون)

(٢)

ثم حذرهم أن يتخذوا منهم بطانة يظلمونهم على أسرارهم
وبين أنهم لا يخلصون لهم ولا يحبونهم كما يحبونهم . بل ان
تمسبهم حسنة تسؤم وأن تصبهم سيئة يفرحوا بها . كافرين
بما أصابهم يوم أحد أذ غدا النبي يموئثهم مقاعد للقتال . واذ
هم طائفتان منهم ان تغشلا من شدة ما نزل بهم . وبتأثير
ما بثوه فيهم من عوامل التشييط حين الجلوس اليهم

ثم ذكر كيف نصرهم يوم بدر لأول هجرتهم وهم أذلة
ليس لهم من هؤلاء الأعداء ولي ولا نصير . وقد جعل الله
هذا النصر بشرى لهم . وليقطع طرفا من الكافرين . ويتوب
على بعض ويعذب بعضا ظالمين (ولله ما في السموات وما في
الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم)

(٣)

ثم أراد أن يقلع من نفوسهم حب المال الذي أثر في
هزيمتهم . فحرم عليهم الربا الذي أصبحوا يأكلونه كما تأكله

اليهود الذين اختلطوا بهم اضعافا مضاعفة . فصاروا مثلهم
 في حرصهم على جمع المال حرصا جعل الرماة في تلك الغزوة
 يتركون موافقهم الى الغنيمة بعد أن أمروا أن لا يفارقوها
 ثم أمرهم أن يطيعوا الرسول ولا يعمدوا الى عصيانه . وأن
 يستغفروا ربهم مما حصل منهم . وأن ينفقوا من مالهم في
 سبيل الله ويتركوا الحرص عليه . وأن يكظموا غيظهم
 ويعفوا عن أساء منهم في تلك الغزوة . وأن يعتبروا بسنة
 الله فيمن سبقهم من الامم الطائفة والعاصية ليحذروا من
 مثل ما وقعوا فيه . وأن لا يحزنوا مما حصل لهم لان الله
 أراد ان يمتحنهم به ويظهر المؤمن الحقيقي من المنافق .
 وليكون لهم قدوة بمن قاتل مع الانبياء السابقين من الربين
 الذين لم يهنوا لما اصابهم في سبيل الله (فاثابهم الله ثواب
 الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله بحب المحسنين)

(٤)

ثم نهض لرد كيد المنافقين الذين اراد أن يستغلوا هذه الهزيمة
 في فض المؤمنين من حول النبي فرد لهم شبهتين اولاهما أنهم
 قالوا للمؤمنين لقد وعدكم النصر ولو كان صادقا ما هزمتم .

فرد عليهم بأن الله قد صدقهم وعده ونصرهم إلى أن خالفوا
 أمر النبي فكف عنهم نصره وتغلب عليهم أعداؤهم فولوا
 منهزمين إلى أن ثبتهم الله وانزل عليهم آمنة ناعسا الخ
 الثانية أنهم قالوا للمؤمنين قد اشرنا عليكم ان لا تخرجوا
 للقتال خالفتم ولو لم تخرجوا ما قتلتم هنا وبقيتم آمنين في
 بيوتكم فرد عليهم بأن الاجل واحد والله هو الذي يحيي
 ويميت وبأن من يقتل في سبيل الله له من الثواب خير مما
 يجمعون (ولئن متم او قتلتم لآلى الله تحشرون)

« ٥ »

ثم عاد الى النبي والمؤمنين وقد خالفوا رأيه في عدم
 الخروج الى المشركين وقتالهم في المدينة . وقال بعضهم (الرماة)
 انما بادرنا إلى الغنيمة لانا خفنا أن يقول النبي من اخذ شيئا
 فهو له ولا يقسم بيننا كما لم يقسم يوم بدر . وقال بعض آخر
 كيف تغلب ونحن مسلمون ظاننا أن المسلم لا يغلب . فامرهم
 أن يعفو عنهم ولا ينقطع بسبب هذا عن مشاورتهم . وبين
 لهم أن النبي ما كان ليأخذ الغنيمة لنفسه ولا يقسم بينهم فمثل
 هذا يكون غلوا لا يتنزه عنه الانبياء . وخصوصا هذا النبي

الذي من الله على المؤمنين به فلا يمكن أن يحور فيهم . ثم
بين لهم ان انهم امة يوم أحد بعد انتصارهم في بدر وغيرها
انما كان متهم . وقد اراده الله ليربهم ويعلمهم الاعتماد على
النفوس وعدم الاغترار بمن لا يخلص لهم من المنافقين الذين
كانوا يعتمدون عليهم . فلما طلبوهم للقتال خذلوهم . ولما قتل
من قتل منهم شتموا بهم وقالوا « لو اطاعونا ما قتلوا قل
فادروا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين »

« ٦ »

ثم بعد ان فرغ من درس تلك الهزيمة ولوم الذين تسببوا فيها. أخذ يمدح الذين ثبتوا مع النبي ولم يهزموا. فبين أنهم أرضوا الشهداء الذين هم احياء في قبورهم فرحين بما آتاهم الله من فضله وباطفه بأخوانهم. أذلم يكن الشر كين منهم بل أبقى فيهم قوة بعد الهزيمة امكنهم بها أن يذهبوا مع النبي إلى جراء الأسد حينما بلغه ان الشر كين تجمعوا لانه يتنصاف القتال ثانيا . فلما علموا بذلك خافوا وعضوا إلى مكة . أما المسلمون فساروا اليهم ولم يعجبوا بأول ما بين خوفهم منهم « أنما ذلكم الشيطان يخوف أوليائه فلا تخافوه وخافون ان كنتم

(٧)

مؤمنين»

ثم أخذ يسلي النبي وينهاه أن يحزن من مسارعة المنافقين
إلى الكفر وشماتة اليهود الذين كانوا يظهرون المودة للمسلمين
أذ ظنوا أنهم لا يقوم لهم بعد تلك الهزيمة قاعة . فأكد له أنهم
لن يضرروهم بعدها . وبين أنه إنما على لأعدائهم ليطفوا ثم
يذيقهم عذاب مهيما . كما يتركمهم ييخلون بما آتاهم الله من فضله
عن أنفاقه في سبيله ليطوقوا به يوم القيامة . وأنه يسمع ما
يقولونه تمكنا حين يؤمرون بالانفاق (أن الله فقير ونحن
اغنياء) فسيكتبه لهم ويضيفه إلى سيئاتهم القديمة مع انبيائهم
وقتلهم لهم . ومع هذا النبي الذي يقولون له حين يدعوهم
إلى الإيمان أن الله عهد إلينا أن لا نؤمن لرسوله حتى يأتينا
بقربان الخ الخ

ثم ذكر أن المسلمين سيسمعون منهم أذى كثيراً فمجب
أن يقابلوه بالصبر ليكونوا من أهل العزم . وأن يذكروا
أنهم أخذ عليهم الميثاق أن يؤمنوا فنبذوه وراء ظهورهم
فلا يصح أن ينتظروا منهم غير ذلك . ولقد اشتروا بنقض
هذا الميثاق ثمناً قليلاً . وفرحوا بما أتوا من نقضه مع أنه لا

يُمْكِنُ أَنْ يَفُوتَهُمُ الْعَذَابُ عَلَيْهِ « وَلِلَّهِ مَلَكُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ »

الخاتمة

أَنْ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
الآيَاتِ لِأَوَّلَى الْبَابِ الْآيَاتِ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ

لَمَّا كَانَ بِنَاءُ السُّورَةِ عَلَى أَنَّ الْكُفَّارَ مُعْتَرُونَ بِمَا عِنْدَهُمْ
مِنْ مَالٍ وَوَلَدٍ. وَإِنَّ الْمُسْلِمِينَ أَخَذُوا يَدَ الْكُفَّارِ فِي هَذَا الْغُرُورِ. خَتَمَهَا
بِأَنَّ هُنَاكَ مَا هُوَ أَهَمُّ مِنَ الْمَالِ وَالْوَلَدِ. وَهُوَ الْعِلْمُ الَّذِي يَسْتَفِيدُهُ
الْإِنْسَانُ مِنَ النَّظَرِ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ. فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ يَنْظُرُ
الْإِنْسَانُ فِي هَذَا الْخَلْقِ الْعَجِيبِ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ مَا خَلَقَهُ بِاطِّلا. فَيَسْمَعُ
بِالْإِيمَانِ الَّذِي يَنْجِيهِ مِنَ عَذَابِ النَّارِ. وَيَسْتَجِيبُ لِمَنْ يَدْعُو إِلَى اللَّهِ
وَلَا يَتَكَبَّرُ أَوْ يَتَعَنَّتْ عَلَيْهِ. فَيَجَازِيهِ اللَّهُ بِمَا عِنْدَهُ مِنْ حَسَنِ
الثَّوَابِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ لِمَتَاعِ الْقَلِيلِ الَّذِي يَفْتَرِبُهُ الْجَاهِلُونَ
ثُمَّ يَكُونُ مَا وَاهُمُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ

ثُمَّ يَبِينُ أَنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ نَجَّاهُ اللَّهُ مِنْ هَذَا الْغُرُورِ

نفسع لله وآمن بالقرآن والكتب التي أنزلت إليه. فهذا لا يحرمه
الله أبضاً من الأجر. وذلك كالنجاشي الذي آمن بالنبي وعجز
عن الهجرة إلى دار الإسلام ليعرف ما يجب عليه بدلاً لئمان
من الأحكام

ولما كان العلم وحده لا يكفي في تهوين أمر الدنيا على
المسلمين بل لابد لهم أن يستعينوا مع هذا بالصبر أمرهم به
فقال « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا
اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ »

سورة النساء

سميت هذه السورة بذلك لأن معظم ما ذكر فيها من
الأحكام يتعلق بالنساء. وقد جاءت هذه السورة بعد سورتي
البقرة وآل عمران اللتين كان معنى فيها بالدعوة إلى الإيمان
وتذكر فيهما بطريق العرض الآداب والأحكام بخلاف هذه
السورة التي معنى فيها بشرح الأحكام ويذكر فيها بطريق
العرض ما كان معنى به في هذين السورتين مما يتعلق بدعوة
المنافقين وأهل الكتاب.

وقد افتتحت هذه السورة بتذكير الناس بأنهم من أصل واحد . ليكون هذا تهيدا وبراعة مطلع لما يذكر فيها من أحكام القرابة بالنسب والمصاهرة . وما يتعلق بذلك من أحكام النكاح والأرث . ولما طال الكلام في آخرها في ذكر حال المنافقين وأهل الكتاب ولم يكن هذا من مقاصد هذه السورة . عاد نختمها بذكر حكم الكلاله في آية كالتى افتتحت بها لئلا تخرج السورة عن المقصود منها : وليعلم أن ما ذكر من ذلك لم يكن مقصودا بالذات بل كان لمناسبة . فيه يكون السياق من أول السورة الى آخرها في ذكر الاحكام . ويلتئم بهذا البدء واختتام

براعة المطلع

يأيتها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها أزواجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا

لما كان المتصود من السورة بيان الاحكام الواجبة وغيرها . ! ابتدأها بالامر بالتقوى التى هى امتثال الاوامر واجتناب النواهي . ثم ذكر الناس بأنهم من أصل واحد . لان

معظم ما يذكرون من تلك الاحكام في هذه السورة يتماق بالقراءة
والزوجية . ثم اعاد الامر بالتقوى تأكيداً وتهيئاً للامر
بصلة الارحام الذي هو المقصود من معظم التشريع الموجود
في هذه السورة

الاحكام

وَأُولَ الْيَتَامَىٰ أَمْوَالُهُمْ وَلَا تَبْدِلُوهَا خَبِيثًا بِالطَّيِّبِ وَلَا
تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ أَنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا
الآيات الى آخر السورة
أحكام اليتيم والسفاهة

أمر بإنشاء اليتامى أموالهم وحرم على الأولياء أكل شيء
منها موقداً كانوا يتزوجون اليتيمات طمعاً في أموالهم ولا
يمطونهن من المهر مثل ما يطمون غيرهن فخرهم من هذا .
وذكر لهم أنه لم يضيّق عليهم في نكاح النساء حتى يقصروا
انفسهم على نكاح اليتيمات . بل وسم لهم في الجمع بين الزوجات
ألي أربع . فعلى من يخاف عدم القسط في نكاح اليتيمة وطمع
نفسه في مالها ومهرها أن ينكح من يشاء من غيرها . من اللاتي
لهن حق التصرف في مهورهن . ويصح أخذ مهورهن إذا

طابت نفوسهن

ثم نهاهم أن يوثقوا السفهاء من يتامى وغيرهم أموالهم
ما داموا سفهاء. وأمرهم أن يعطوها لهم إذا أنسوا منهم
رشدًا (فأذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وكفى بالله
حسيباً)

احكام الارث

ذكر منها هنا احكاما اولها أن النساء يرثن كما يرث
الرجال . وكانوا في الجاهلية يحرمونهن من الميراث . لانهن لا
يحملن السلاح . ولا يكتسبن كما يكتسب الرجال . وثانيها أنه
إذا حضر قسمة التركة او لو القربى من غير الورثة واليتامى
والمساكين فلا يليق أن يحرموا من شيء يعطونه منها كما يليق
بالحالم . ولو بصفة الهبة او الهدية . وثالثها أن اليتامي يرثون
كما يرث الكبار . وكانوا في الجاهلية يحرمونهم من الميراث
لضعفهم كالنساء . مع أن من كان يفعل هذا مع اليتامي لا يرضى
أن يفعل غيره مثله مع ذريته إذا تركهم ضعافا . فالواجب أن
يتركوا ما يقولونه في حرمانهم ويقولوا غيره قولاً سديداً .
ولا يأكلوا ما تركه لهم أبائهم ظلماً وعدواناً

وبعد نمهد هذه الاصول بين نصيب كل وارث على ما هو معروف ومسطور . فخذ في ذلك حدوداً أنذر من يتعدها
« نارا خالدا فيها وله عذاب مهين »

حكم المساحقة واللواط

بين في حكم المساحقة أنه لا بد في أثباته من شهادة أربع به . فأذا شهدوا بحبس المساحقة صيانة لها حتى تموت او تقبض وفي حكم اللواط أنه الايذاء بالفعل والقول إلى أن يتوبوا . ثم بين متى تقبل التوبة من هؤلاء ومن غيرهم . وأنها لا تقبل من الذين يعملون السيئات « حتى إذا حضر احدهم الموت قال أني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك اعتدنا لهم عذابا اليما »

إبطال ارث النساء كرها

كان الرجل إذا مات في الجاهلية ورث امرأته من يرث ماله . فكان يعضلها حتى يتزوجها أو يزوجه من يشاء أو تقتدى نفسها بما أخذته من مورثه . فأبطل ذلك وحرم عضل النساء من وارث أو زوج لا خذشي من مهورهن إلا أن يأتين بفاحشة معينة . وأوجب عشرتهن بالمعروف ثم بين أن المهور تدفع في

نظير استمتاع الرجل بالمرأة . لا تملك بهارقتها حتى تورث
أو تعضل من وارث أو زوج اترد اليهما ما أخذته « وكيف
تأخذونه وقد أقضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم . يشاقا غايظا)

محرمات النكاح

عد منها امرأة الاب والامهات والبنات والاخوات
والعمات والخاللات وبنات الاخ وبنات الاخت والام من
الرضاع والاخت من الرضاع وأم الزوجة وبنات الزوجة
المدخول بها وأخت الزوجة ما دامت في العصمة وزوجة الغير
الا السبايا اذا ملكن ولهن ازواج . وأحل ما وراء ذلك بعقد
الزواج وحرم السفاح واتخاذ الأخدان . ثم امتن عليهم بنعمة
الزواج الذي هرسنة الانبياء وأصحهم من قبلهم . وبين أنه يريد
به أن يتوب عليهم من الزنا واتباع الشهوات (يريد الله ان
يخفف عنكم وخلق الانسان ضنيفا)

تحريم التعدى على المال والنفس

حرم أكل اموال الناس بالباطل . وأحل الكسب والتجارة
وحرم قتل النفس . وأوعد من يفعل ذلك بالعذاب الشديد . وقال
لمن يجتنبه (أن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم

وندخلكم مدخلا كريما)

تحريم التحاسد

حرم التحاسد وأن يتمنوا ما فضل الله به بعضهم على بعض وأرشدهم إلى أن كلا من الرجال والنساء والاقرباء والضعاف يرزق بقدر عمله وكسبه. فالواجب ترك الحسد وطلب الفضل والرزق من الله بالسعي والكسب. ثم أشار إلى أن التفاضل بين العباد بالرزق إن لم يكن بكسب حادث فيكسب قديم قام به الوالدان والاقربون واخذه من اخذه منهم بطريق الارث. وهو حق من الحقوق التي لا يصح انكارها ولا حسد احد عليها (ولا كل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والاقربون والذين عقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم ان الله كان على كل شئ قديرا)

حق الرجل على المرأة

بين ان للرجل القوامة على المرأة بما فضله الله عليها في القوة والعقل. فان كانت صالحة فيها والا فلا حق تأديبها فان وقع شقاق بينهما حكم بينهما اثنان من أهلها وأهله. «أن يريد اصلاحها يوفق الله بينهما أن الله كان عليا خبيرا»

حق الله والوالدين

بين ان حق الله أن يعبد وحده وان حق الوالدين
 الاحسان اليهما . وكذا الاقارب واليتامى والمساكين النخ
 والاحسان يكون بالتواضع لهم وبذل المال لسد فاقتهم . فلا
 يختال عليهم ولا يبخل . وأذا أنفق فليكن انفاقه لوجه الله
 لا للرياء . ثم انذر من يخالف ذلك يوما يود فيه «الذين كفروا
 وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله
 حديثا»

بعض احكام الصلاة

الصلاة حق من حقوق الله وقد ذكر من احكامها هنا
 انها لا تصح من سكران النخ . وكان السبب في هذا أن بعضهم
 صلى وهو سكران خرف في القرآن . وقرأ « قل يا أيها
 الكافرون اعبدوا ما تعبدون » فحرم عليهم هنا الصلاة في حال
 السكر . وأمرهم بالنظر في حال أهل الكتاب الذين اشتروا
 الضلالة بالهدى ليدكر لهم أن مثل ذلك التحريف الذي وقع
 من بعضهم وقع من اليهود قبلهم في كتبهم فأوقعهم في العصيان
 وحال بينهم وبين الايمان بالقرآن الذي نزل مصدقا لما معهم من

الكتب قبل تحريفها . فلو لا ذلك التحريف لكان حالهم غير
الحال التي وقعوا فيها بسببه

وقد مضى بسبب هذا على طريق الاستطراد في ذكر
بعض احوالهم وقبائحهم . فذكر منها ما شاء . ثم اوعده الذين
كفروا منهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها
ووعده الذين آمنوا « جنات تجري من تحتها الانهار ارجالهم
فيها أبدا لهم فيها ازواج مطهرة ودخلهم ظلا ظليلا »

حق الراعي والرعية

ذكر ان حق الرعية على الراعي ان يرد الامانات الى
أهلها ويحكم بينهم بالعدل . وان حق الراعي عليهم ان يطيعوه
كما يطيعون الله والرسول ويرجعوا اليه عند التنازع في
أمرهم . ويكون الحكم بينهم عند التنازع كتاب الله
وسنة الرسول . ومن لا يرضى بالتحاكم إليهما يكون من
المنافقين الذين يزعمون أنهم يؤمنون بما أنزل الله من الكتب
والاحكام . ثم لا يرضون بالتحاكم إليهما بل يتحاكمون الى
الطاغوت الذي أمروا أن يكفروا به . فإذا أصابتهم مصيبة
يرجعون الى النبي ويخلفون أمرهم ما ارادوا به كما هم الى غيره

الاحسانا ونوفيقا . والله يعلم أنهم يبتغون خلاف ما يظهرون .
ولو أنهم صدقوا وندموا حقيقة على ما فعلوا لوجدوا الله توابا
رحيما . أما هذا الخداع فلا ينفعهم ولا يدخلهم في عداد
المؤمنين . واعلموا ينفعهم أن يحكموا الرسول في كل ما شجر
بينهم . وترضى نفوسهم بما يقضى به في تنازعهم . ولو أنهم
فعلوا ذلك وهو سهل عليهم اذ لم يكلفوا بقتل نفوسهم ولا
بغيره من التكاليف الثقيلة التي كلف بها غيرهم لا تاهم الله
اجرا عظيما . وأدخلهم جنته مع الذين انعم عليهم من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا
« ذلك الفضل من الله وكفى بالله علما »

فرض القتال واحكامه

أمرهم أن يأخذوا حذرهم قبل ان ينفروا إلى القتال
من الاعداء الداخليين (المنافقين) الذين يشبطون عن القتال ولا
يقاتلون . فأن اصاب المؤمنين مصيبة فرحوا . وأن اصابهم
نصر قالوا ياليتنا كنا معهم فننفر فوزا عظيما

ثم ذكر ما يرغبهم في القتال من الأجر العظيم في الآخرة
وتخليص اخوانهم المستضعفين في مكة من أيدي ظالمهم .

وأنهم يقاتلون في سبيل الله واعدائهم يقاتلون في سبيل
 الطاغوت فهم أولياء الشيطان ومن يتولى الشيطان كان ضعيفا
 ثم حذرهم أن يكونوا كالمنافقين في أمور أربعة - أولها
 خوف القتال . فأن للموت اذا جاء اجله فلا بد منه ولو كان
 الانسان في بروج مشيدة - ثانيها أنهم اذا قاتلوا فان تصبهم
 حسنة يقولوا هذه من عند الله . وأن تصبهم سيئة يقولوا
 هذه من عندك (يعنون النبي) مع أن الكل من عند الله . وما
 النبي الا رسول ونيس له من الامر شيء (وارسلناك للناس
 رسولا) فن أطاعه فقد أطاع الله . ومن تولى عنه وتشام
 به ونسب السيئة إليه فقد عصاه - ثالثها - عدم الاخلاص
 في القتال وتنفيذ ما يطلب منهم فيه . فأنهم يظهرون الطاعة
 في حضرة الرسول . فأذا خرجوا من عنده أضمرُوا خلافها
 والله يعلم ما يضمرون ويظهر أحوالهم وخفاياهم في كتابه
 كما هي لا يختلف عنها في شيء . ولو تدبروا ذلك لعلموا انه
 من عند الله وأخلصوا في طاعتهم وصدقوا في ايمانهم -
 رابعها - اذاعة اسرار الجيوش فاذا جاءهم امر من الأمان
 او الخوف تكون المصلحة في كتابه وتفويضه الى الله

والرسول أذاعوا به .

وبعد أن حذرهم من هذا كله . ورغبهم في القتال بما
 رغبهم فيه . أمر النبي أن يقاتل في سبيل الله لا يكلف الا
 نفسه وليس عليه الا ان يحرضهم على القتال فيرغبهم فيه .
 فأن اطاعوا فيها . والا فله ثواب تحريضهم عليه (من يشفع
 شفاعه حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعه سيئة
 يكن له كفل منها وكان الله على كل شئ مقبلاً)

احكام القتال

ذكر منها هنا احكاما اولها أنه لا يجوز قتال المسلم من
 الكفار . وهو الذي يحبى المسلمين ولا يعاديهم . فهذا جزاؤه
 أن يحبى بأحسن من تحيته . ويكف عن قتاله . ثانياها اباحة
 قتال المنافقين بعد تحريمه . لانه لم يعد معنى لاحتمالهم . ولا
 لاختلاف المسلمين في أمرهم . بعد أن صار حوهم بالعداوة
 وأصبحوا لا ترجى لهم هداية . ولم يطلق تلك الاباحة اطلاقا
 بل قيدها بنوع من المنافقين دون انواع اخرى اقتضى الامر
 تأجيل اباحة قتالهم - لأنها - تحريم قتال المؤمن وقتله الآن
 يكون خطأ بأن يقتله في الحرب من يظن أنه كافر . فيجب

عليه الذب ولا يقتل به - رابعها - وجوب التثبت في الحرب حتى لا يقتل من يسلم فيها مع من يصر على الكفر . ويقال له أنك أسلمت خوفا من السيف - خامسها - أنه لا يجوز القعود عن القتال إلا لأولى الضرر - سادسها - وجوب الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام . ويستثنى من هذا المستضعفون من الرجال والنساء والوالدان - سابعها - جواز قصر الصلاة للمجاهدين ونحوهم من المسافرين - ثامنها - جواز الصلاة بكيفية أخرى غير التي تجب في الأمن من كيفيات صلاة الخوف المعروفة

ثم ختم الكلام في أحكام القتال بمبدأه به من ترغيب المؤمنين فيه فقال « ولا تهنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما »

تحريم المحاربة

« ١ »

ذكر أنه يجب الحكم بين الناس بالحق لا فرق بين مسلم وغيره . وقد سرق طعمة بين أبيرق ودرما ورمى بها بريثا من

اليهود وشهد بذلك قوم طعمة زورا عند النبي . فقال الى تبرئته
لما كان يغلب على المسلمين في ذلك العهد من الصدق والامانة
وعلى اليهود من الكذب والخيانة . فعاتبه الله على مجادلته عن
هؤلاء الخائنين المنافقين الذين يستخفون من الناس ولا
يستخفون من الله . ويحاولون تبرئة المذنب بشهادة الزور
في الحياة . فمن يبرئه من ذنبه يوم القيامة أمام الله . وقد كان
الاولى لهم أن يتوبوا ويستغفروا الله لذنبهم بدل أن يرموا
به ذلك البريء » ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا
فقد احتمل بهتاننا واثما مبينا « (٢٢)

ثم أخذ يمتن على النبي بعد أن نجاه من الجور في الحكم
الذي أراد أن يوقعه فيه أولئك المنافقون . ويبين له انه لا خير
في كثير من نجواهم لانهم لا يأترون فيها الا على الشر ولا
يتوون فيها على فعل الخير . فلا يأمرون بصدقة ولا معروف
ولا يصلحون بين الناس بل (١) يشاقون الرسول ويتبعون
سبيل المشركين . فيعبدون من دون الله أناكالكالات والعزى

(١) أن طعمة لم يكذب بفتضح أمره حتي فر الي المشركين وارتد عن
الإسلام فكان هذا سببا فيما ذكره . هنا في قبح الشرك وفضل الاسلام

ويتخذون الشيطان وليا فيضلهم ويغنيهم أن لا بعث ولا حساب
 ويأمرهم فيقسطون آذان الانعام ليقدموها قربانا للأصنام
 وليس الامر بأمانهم ان لا بعث ولا حساب . ولا بأمانى اهل
 الكتاب الذين يزعمون انه لن يدخل الجنة الا من كان هودا او
 نصارى . بل من يعمل سوء يحز به في يوم الجزاء . ومن يعمل
 صالحا ويؤمن بدين الله الصحيح يدخله الجنة . ويجازه على
 كل خير عمله « ومن احسن ممن اسلم وجهه الى الله وهو محسن
 واتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا . والله ما في
 السموات وما في الارض وكان الله بكل شيء محيطا »

بعض احكام النساء

ذكر في اوائل هذه السورة احكاما في يتامى النساء الالاقى
 كانوا ينكحونهن طمعا في اموالهن . وفي اليتامى الذين كانوا
 يحرمونهن من الميراث . وفي الزوجات والعدل معهن عند
 كراهتهن والرغبة في تزوج غيرهن . وكانت تلك العادات
 مستحكمة في نفوس العرب في جاهليتهم فسألوه تخفيفا في
 تلك الاحكام . وكان هذا منهم بعد مضي زمن نزل فيه ما نزل
 من الاحكام التي ذكرت في هذه السورة بعد تلك الاحكام التي

سألوه تخفيفها. فبين لهم أن الاول والثاني لا تغيير فيهما. وأن
 الصلح بين المرأة والزوج عند خوفها من أعراضه وتزوجه
 بأخرى على أن تسقط حقها في القسم وغيره وتبقى عنده خير
 من التسريح والفراق وأن كان بأحسن. وإن العدل الكامل
 الذي يشمل الميل القلبي بين الزوجات غير مستطاع. وإنما
 الواجب العدل بينهما في الامور الاختيارية من قسم وغيره.
 فإن لم ترض الزوجة بالتنازل عن حقها لم يمكن الزوج أن
 يستعمل العدل المستطاع معها فليتفرقا بعن الله كلا من سمته.
 لأن العدل امره عظيم وصى الله به الذين أوتوا الكتاب كما
 وصاكم به. فإن لم تعدلوا ذهب الله بكم وأثى بمن يعدل غيركم
 فأياكم أن تمسكوا الزوجة مع ظلمها طمعاً في مالها. فتواب
 الله خير من الدنيا وما فيها (من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله
 ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعاً بصيراً)

تحريم شهادة الزور

ذكر هنا أن القيام بالعدل واجب على الرعية كما ذكر فيما
 تقدم أنه واجب على الراعي. فحرم عليهم شهادة الزور.
 وحذرهم أن يحملهم عليها قربي أو خوف من غني أو رافعة على

فقير (أن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى
أن تمدلوا وإن تولوا أو تمرضوا فأن الله كان بما تعملون
خبيرا)

احكام اصولية

ذكر منها هنا - الايمان بالله - والايمان بالرسول -
والايمان بالكتب المنزلة - والايمان بالملائكة - والايمان
باليوم الآخر

ثم ذكر أن الناس من جهة الاعتقاد بها على قسمين أولهما
المنافقون الذين لا يؤمنون بها أيمانا يقينبا . ولا يثبتون على
حال من ايمان أو كفر . وقد ذكر من احوالهم في ذنباتهم ما
شاء . ونهى المؤمنين عن الاختلاط بهم وموالاتهم وموالاته
من بوالونهم من الكافرين . ثم اشار الى أنه لا يجب افشاء العيوب
ولا الجهر بالسوء وإنما افشى عيوب المنافقين لان المصلحة في
افشائهم . ولكثره بغيهم وظلمهم . ولهذا استثنى من ذلك
افشاء عيوب الظالمين فأجازها للمؤمنين (أن تبدوا خيرا أو
تخفوه أو تعفوا عن سوء فأن الله كان عفوا قديرا)

القسم الثاني اهل كتاب وهم أما يهود يكفرون بالله

ويؤمنون ببعض الرسل والكتب دون بعض . فيكفرون
 بالنبي ويسألونه أن ينزل عليهم كتابا من السماء ليؤمنوا .
 وليس هذا منهم الا نعمة كالتعنت الذي كانوا يأتونه مع موسى
 اذ يسألونه ان يريهم الله جهرة . وكتعنهم على عيسى وزعمهم
 أنهم قتلوه وصلبوه . وقد حرم الله عليهم كثيرا من الطيبات
 عقابا لهم على هذا وعلى أخذهم الربا وأكلهم أموال الناس
 بالباطل وأعد لهم عذابا مهينا . ثم ذكر ان العلماء الراسخين
 منهم يعلمون أنه النبي المبشر به في كتبهم . وأنه يوحى اليه
 كما أوحى الى نوح والنبيين من بعده . فأن لم يكفهم ذلك
 في الايمان به فيكفى أن الله وملائكته يشهدون به . وليس
 لمن يكفر بعد هذا الاعذاب جهنم وكان ذلك على الله يسيرا
 « يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا
 لكم وان تكفروا فأن الله ما في السموات والارض وكان الله
 عليا حكيم »

واما نصارى غلوا في دينهم وقالوا أن المسيح اله مع
 أنه ان يستنكف أن يكون عبد الله . وقد جاءهم القرآن
 بنور التوحيد فضلوا بعدم الاهتداء به (فأما الذين آمنوا

بالحق واعتصموا به فسيدهم في رحمة منه وفضل ويهديهم
إليه صراطا مستقيما .

حكم الكلاله

الكلاله من الوارثين هم الحواشي الذين يدلون إلى الميث
بواسطة الوالدين . وقد بين في أحكام الارث السابقة نصيب
الكلاله اذا كانوا أخوة لام . واخر بيان نصيب الكلاله اذا
كانوا أخوة من العصب إلى هنا حتى استفتوا فيه . فأفتاهم
بهذه الآية التي ختمت بها هذه السورة وانتهت بها أحكامها
فقال (يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلاله أن امرؤ هالك
ليس له ولد وله اخت فإيا نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن
لها ولد فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وأن كانوا أخوة
رجالا ونساء فللذكور مثل حظ الانثيين بين الله لكم أن تفضلوا
والله بكل شيء عليم)

سورة المائدة

سميت هذه السورة بهذا الاسم لأنه قد ذكر فيها
حديث المائدة التي أنزلت من السماء على عيسى . وهو أهم شيء
يمكن أن يميزها عن غيرها . وقد نزلت هذه السورة بعد أن

نقض أهل الكتاب من يهود المدينة وغيرهم اليهود التي
 كانت بين النبي وبينهم . فبعضهم حارب كبنى قريظة وبنى
 قينقاع . وبعضهم تأمر علي قتله كبنى النضير . وبعضهم لم يرض
 بحكمه في حد الزنا وغيره وحاول أن يغشه . وكان لهم في حربهم
 وناآمرهم مساعدون من المنافقين يقولونهم ويقولون نخشى أن
 تصيبنا دائرة . جاءت هذه السورة وفي أولها أمر المؤمنين
 بالوفاء باليهود على اختلاف أشكالها . سواء أكانت بين الله
 والعباد أم بين العباد بعضهم مع بعض . ثم بينت أن نقض
 العهود معروف في أهل الكتاب مع كل الأنبياء الذين بعثوا
 إليهم . ثم جاء فيها نهي النبي عن الحزن لنقضهم العهد الذي كان
 بينهم وبينه والتحياز فريق من المنافقين إليهم أثروا الكفر على
 الإيمان . ثم أمره أن ينقض العهد من جانبه كما نقضوه . وأن
 يبلغ ما أنزل إليه في ذلك ولا يخاف من قتالهم فأنه يعصمه منهم
 فهذا هو المقصود بالذات من هذه السورة . وقد ذكر
 في أولها بعد أمر المؤمنين بالوفاء بالعقود أن الله أحل لهم بهيمة
 الأنعام على سبيل الامتنان ليكون هذا باعثا لهم على الوفاء بها
 وقد علموا أن بني إسرائيل لم يحرم عليهم من الطيبات ما حرم

عليهم الا لنقضهم الموائيق التي أخذت عليهم . وقد جر هذا
الى الكلام على احكام الاطممة على سبيل الاستطراد . وعلى
قدر الغرض الذي ذكرت لاجله . ثم كانت احكامها في آخر
السورة حينما تم الكلام فيها على المقصود بالذات منها
ثم ختمت السورة بذكر احوال يوم القيامة وما يكون
فيه من جمع الرسل وسؤالهم عما أحدثه أتباعهم من بعدهم .
وجوابهم بأنهم لم يبلغوه الا ما امروا به . فهم الذين غيروا
فيه وبدلوا بعد وفاتهم . وهنا لك يفوض الرسل امر عذابهم
والعفو عنهم الى ربهم فيحبيهم الله بان هذا يوم الصدق
والوفاء بالعهود . ويعود اذا السياق الى ما كان عليه قبل الكلام
على تلك الاحكام . ويتناسب البدء والختام .
وبهذا كله ينحصر الكلام في هذه السورة في ثلاثة
مقاصد وخاتمة

المقصد الاول

يأيا الذين آمنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الانعام
الا ما تبلى عليكم غير محلي الصيد وأنتم حرم ان الله يحكم ما يريد
الا يات الى قوله تعالى

يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان
 يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله
 وعلى الله فليتوكل المؤمنون

« ١ »

أمرهم بالوفاء بالعقود شكراً لله على ما أحل لهم من بهيمة
 الانعام الا في حالين . أولهما سيأتي . والثاني ان يكونوا
 محرمين فلا يحل لهم الصيد كما لا يحل لهم أن يحملوا شعائر
 الحرم ولا الهدى ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام . فاذا
 حلوا جاز لهم الصيد . ثم فصل ما حرم عليهم في الحال الاول
 من الميتة والدم وغيرهما . وذكر أنه أحل لهم الطيبات وطعام
 اهل الكتاب كما أحل لهم نساء ما اذا آتوهن أجورهن (محصنين
 غير مسافحين ولا متخذين أخدان) الآية

٢

ثم أمرهم أن يتطهروا قبل أن يقوموا الى الصلاة فاذا
 قاموا اليها ذكروا تلك المواثيق والعقود التي أخذت عليهم .
 فهو هنا يأمرهم بذكرها في كل صلاة ثلاثينها بمبدأ
 أمرهم هناك بالوفاء بها مطلقاً . ويشير الى ان هذا هو

المقصود من فرض الصلاة على العباد

ثم امرهم ان يكونوا قوا، يزلفهم بالقسا وان يكون رائداهم العدل فى معاملاتهم مع العباد، ويريد بهذا ارشادهم الى امر جامع فيما امروا به من الوفاء بالعهود. وان ذلك يكون بالقيام بام الله بحق العبودية وبالصالحات والاعداء.

ثم تخلص الى ذكر ما كان من اليهود وغيرهم من نقض عهود المسلمين وان الله كف اذاهم عنهم بفضل محافظتهم عليها، وامرهم ان يشكروا الله على ذلك وان يتوكلوا عليه ليحفظهم منهم (وعلى الله فليتوكل المؤمنون)

المقصود الثانى

(ولقد اخذنا ميثاق بنى اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله انى معكم) الآية

الآيات الى قوله تعالى

والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم

لما تخلص فيما تقدم الى ذكر نقض اليهود لما كان بينهم وبين المسلمين من عهود. وكان هذا هو السبب فى نزول هذه

السورة. انتقل الى سياق طويل ينحصر ماجاء فيه في اربعة امور

اولها

في بيان ان العصيان ونقض اليهود معروف في اهل الكتاب
من قديم الزمان. وقد ذكر في اثبات ذلك وقائع اولها انه اخذ
الميثاق على بني اسرائيل ان يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة
ويؤمنوا بالله ورسوله. وبعث منهم اثني عشر كفيلاً بالوفاء
بذلك العهد. ومع هذا نقضوه ونسوا كثيراً مما انزل الله اليهم
ثانيها ان النصارى اخذ عليهم مثل ذلك العهد فنقضوه
ونسوا كثيراً مما انزل الله اليهم ايضاً. وقد ارسل الله اليهم
رسولا يبين لهم كثيراً مما يخفونه من كتبهم. ويرد على
النصارى قولهم ان الله هو المسيح ابن مريم. وعلى اليهود
والنصارى قولهم نحن ابناء الله واحباؤه. ويبين لهم الدين
الصحيح بعد انقطاع الرسل عنهم لئلا يكون لهم عذر في
بقائهم على ما احدثوه بعد انبيائهم

ثالثها ان الله وعدهم ان يعطيهم الارض المقدسة واخذ
على نفسه بذلك. يثاقاً مع ابيهم ابراهيم ثم بعث اليهم
موسى ليأخذ لهم تلك الارض من الكنعانيين الذين كانوا

بها. فأبوا أن يسيروا معه لقتالهم. ونسوا أن الله عهد بها اليهم
 رابعا أن الله حرم قتل النفس والفساد في الارض من
 يوم أن قتل قاييل هابيل. واخذ على بني اسرائيل الميثاق بذلك
 فنقضوه وأسرفوا في القتل والفساد في الارض وحاربوا الله
 ورسوله. وهؤلاء جزاؤهم أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع
 ايديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض. ثم حذر
 للمؤمنين من الوقوع في هذا الفساد وأمرهم بتقوى الله
 وأن يعاقبوا على السرقة وهي نوع من ذلك الفساد بقطع
 الايدي عوين لهم أن من تاب يتوب الله عليه وينجيهِ من
 المذاب برحمته وقدرته (الم تعلم أن الله له ملك السموات
 والارض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل
 شيء قدير) ثانيا

في تسلية النبي على مسارعهم في الكفر بعد نقضهم ما
 كان بينه وبينهم من عهد. وبيان أنهم كانوا يريدون من النبي
 أن يوافقهم على ما حرفوه من كتبهم وأن يحكم بينهم على وفق
 أهوائهم ولو كان على خلاف ما أنزل عليهم في شرائعهم. فقد
 تحاكموا إليه في وائين ليحكم عليهما بغير الرجم الذي أنزل

عليهم في التوراة . وفي حكم الدية . وتفضيلهم بنى النصير
على بنى قريظة ليحكم لهم بخلاف ما كتب عليهم فيها من أن
النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن
بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص . وقد جاء الانجيل
بعد التوراة مصدقا لأحكامها . وجاء القرآن بعدها مهيمنا
عليهما بحكم بتحريف ما حرفوه منها ويأمرهم بالعمل بما
بقى على أصله من حكم الرجم والدية وغيره . ولكنهم يعرضون
عن ذلك ويبغون حكم الجاهلية المبني على الهوى ومعاملة
القوى بخلاف معاملة الضعيف (أخسكم الجاهلية يبغون ومن
أحسن من الله حكما لقوم يوقنون)

ثالثها

في بيان أن من ينقض عهده مع النبي يجب على المسلمين
أن ينقضوا عهودهم معه . فإنه لما حاربت اليهود رسول
الله تشبث بحلفهم المنافقون وقالوا نخشى أن تصيبنا دائرة
وأن تدول الدولة لهم فننتفع بحلفهم . فعسى الله أن يفتح على
المسلمين ليخيب رجاؤهم ويندموا على تشبثهم بهم وتجب على
أعمالهم فيصحبوا خاسرين . ومن يتولى الله ورسوله فهم

الغالبون ثم ذكر من قبائح اليهود مالا يصح معه للمسلمين
 ان يتخذوا منهم حلفاء أو اولياء . فمن ذلك أنهم يتخذون
 دينهم هزوا ولعبا وينقمون منهم أنهم آمنوا بالله وما أنزل
 إليهم وإلى من قبلهم . وينسون اعمالهم السيئة التي استحقوا
 بها غضب الله . ومن ذلك أن منهم منافقون يظهرون
 الايمان ويتجسسون لقومهم . ومنهم كثير يسارعون في الاثم
 والعدوان ويأكلون السحت ولا ينهاهم عن ذلك ربانيوهم
 وأخبارهم الخ الخ ولو أنهم تركوا تلك القبائح لغفرناها لهم
 نعم أن منهم من تركها ولكنه قليل بجانب المصير عليهما (منهم)
 أمه مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون)

رابعها

في أمر النبي بنقض عهدهم كما تقضوه وتبلغ ما أمر به
 في ذلك . والله يعصمه منهم وينصره في حربهم . وقد أمره
 ان يخبرهم بأنهم ليسوا على شيء من العهد الذي كان بينه
 وبينهم . وانه لا يقبل منهم بعد هذا الا أن يقيموا التوراة
 والانجيل ويؤمنوا بالفرآن الذي أنزل إليهم وإلى غيرهم ولا
 يفرقوا بين الثلاثة فيؤمنوا بيهض ويكفروا بيهض . فإن

فعلوا ذلك فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . ثم ذكر دليلا
على عدم اقامتهم للتوراة والانجيل اولهما أن بنى اسرائيل
قد اخذ عليهم الميثاق أن يؤمنوا بكل رسول يأتيهم من
ربهم ولكنهم كانوا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم
يكذبونه أو يقتلونه . فجازاهم الله على ذلك بالقتل والتخريب
وغير ذلك من الفتن والشدائد كتسليط الامم عليهم مرة بعد
أخرى . أما النصارى فكفروا وقالوا أن الله هو المسيح بن
مريم وثالث ثلاثة (الأب والابن وروح القدس)

فكل من الفريقين قد غلا في دينه واتبع أهواء قوم
قد ضلوا وهم رؤساءهم الذين اتخذوهم أربابا يشرعون لهم
ما لم يأذن به الله . فحق عليهم بذلك لعنة داود وعيسى وبما
عصوا وكانوا يمتدنون

الثاني انهم يقولون مشركى العرب ويعادون المؤمنين
الذين هم أقرب اليهم منهم . ولو كانوا يؤمنون بالله ويقيمون
للتوراة والانجيل ما اتخذوهم أولياء واتخذوا المؤمنين أعداء .
نعم أن النصارى لا يعادونهم كاليهود فهم أقرب اليهم بمودة
منهم ومنهم قسيسون ورهبان اذا سمعوا ما أنزل الى الرسول

فاضت اعينهم من الدمع. وقالوا ربنا آمنّا فاكتبنا مع الشاهدين
فلما بهم الله على ذلك ثواب المحسنين (والذين كفروا وكذبوا
بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم)

المقصد الثالث

يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا
تعتدوا أن الله لا يحب المعتدين
الآيات الى قوله تعالى

ذلك ادنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها أو يخافوا أن
ترد إيمان بعد إيمانهم واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدي
القوم الفاسقين (١)

كل في هذا المقصد أحكام الاطعمة والصيد وذكر في
ذيلها حكما آخر نزل معها فقرن بها وهو حكم الشهادة في
الوصية . وقد ذكر في أول السورة أنه أحل لهم الطيبات
فنهاهم هنا أن يحرموا شيئا منها على أنفسهم . وذلك قد
يكون من غير التزام يمين وقد يكون به فيكون لغوا لا
يؤاخذ الله في تركه والتكفير عنه . ولكن يؤاخذ في الاقامة
عليه وتحريم الجلال به . ثم ذكر ما حرمه من الاطعمة وهو

الحجر في ضمن محرمات اخرى من نوعه . ونفى الاثم عن الذين
 شربوها فيما مضى فقال (ليس على الذين آمنوا و عملوا الصالحات
 جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا و عملوا الصالحات ثم
 اتقوا وآمنوا ثم اتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين)

(٢)

ثم ذكر تحريم الصيد في حال الاحرام وقد ذكره فيما
 مضى تمهيد البيان حكم من يقتله متعمدا وهو وجوب مثل ما
 قتل النعم هديا بالغ الكعبة . وبيان ان المحرم هو صيد
 البر لا صيد البحر . ثم ذكر أن الهدى انما وجب الى الكعبة
 لان الله انما اوجب الحج اليها في الشهر الحرام ليحصل لاهلها
 ما يقوم بمعاشهم . قضى بذلك علم الله بنظام خلقه في ارضه وسمائه
 وعظيم رأفته بمباداه . فليحذر من يخالف ذلك بترويع
 حجاج بيته ومخالفة احكام نسكه من شديد عقابه . وما
 على الرسول الا البلاغ . والله يعلم كل الاعمال ظاهرها
 وخفيها . ولا يستوى عنده الخبيث والطيب منها

ثم اشار الى ان الحج انما يجب في العمر مرة وفي هذا
 كفاية لاهل ذلك البيت . وقد سأل قوم النبي حين وجب الحج

عليهم أكل عام يا رسول الله فسكت حتى قالوا ثلاثاً ثم قال
لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم . فلا تسألوا عن أشياء أن
تبدلكنكم تسؤكن

ثم أبطل هدايا الاصنام من البحيرة والسائبة وغيرها
من بدع أهل الشرك الذين يفترون على الله الكذب وإذا قال
لهم المؤمنون تعالوا إلى ما أنزل الله اعرضوا وقالوا حسبنا
ما وجدنا عليه آباءنا (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم
من ضل إذا اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما
كنتم تعملون) (٣)

ثم ذكر حكم الشهادة على الوصية وأنه يكفي فيها اثنان
من المسلمين . فإن كان الموصى مسافراً ولم يجد مسلماً أشهد
اثنين من غيرهم . ثم أكد في الشهادة على الوصية بما أكد به
ليأتوا بها على وجهها (أو يخافوا أن ترد إيمان بعد إيمانهم
واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدي القوم الفاسقين)

الخاتمة

يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا
أنك أنت علام الغيوب

الآيات الى آخر السورة

ذكر سؤال الرسل وجوابهم بالآجال . ثم بين بالتفصيل سؤال واحد منهم وهو عيسى وجوابه عنه . فذكره بنعمته عليه أذ أيده بمعجزات كثيرة . وأذ سأله الحواريون أن ينزل عليهم مائدة من السماء فأنزلهما عليهم . ثم سأله أنت قلت بعد هذا للناس اتخذوني وأمي ألحين من دون الله . فتبرأ من هذا وقال ما قلت لهم الا ما أمرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم فكذبوا على بعد ان توفيتني . فان تعذبهم على هذا فهم عبادك . وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم . فقال الله هذا يوم لا ينفع فيه الا الصدق والوفاء بالعهدة . فيجازي عليهما بما لا يقدر عليه غير الله تعالى (الله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شيء قدير)

سورة الانعام

سميت هذه السورة بذلك لانه فصل فيها حكم الانعام من الأبل والبقر والضأن والمعز تفصيلا لم يشاركها فيه غيرها . وقد نزلت في محاجة المشركين فأخبرت عن السور

الاربع السابقة التي كانت الحاجة فيهم مع أهل الكتاب وامرهم
 اهم من امر المشر كين . ولما كان المشر كون عبدة اصنام وكان
 الجدل معهم في اثبات التوحيد والنبوة ذكر في اولها ان
 الذي يستحق الحمد هو الله دون اصنامهم . وأيد ذلك بما
 ايده به ليكرن هذا بمثابة إعلان عن المقصود منهما من اول الامر
 والسورة كلها سياق واحد في اثبات هذين الامرين
 ومحاجة المشر كين فيها حتى قال بعضهم انها كلها نزلت
 دفعة واحدة . ولكننا بعد البحث وجدنا انها تنقسم الى قسمين
 أولهما في اثبات هذين الامرين . وثانيهما في ابطال احكام فرعية
 ابتدعوها حين تركوا التوحيد ونسوا ملة ابراهيم . واثبات
 احكام سواها تلتئم معها . وأن لها مقدمة في اثبات هذين
 الامرين قبل البدء في محاجتهم فيها . وخاتمة في ترغيبهم
 في ذلك الدين ببيان أن الفرض منه رفع شأنهم ادبياً
 ومادياً . فالاول باعطائهم كتاباً كطائفتي اليهود والنصارى
 يرجع بهم الى الخيفية السمجة ملة ابيهم ابراهيم . والثاني بجماعهم
 خلائف الارض واعطائهم ملك الامم التي صارت غير صالحة
 لخلافة الله فيها . فهذه اربعة اقسام مقدمة ومقصودان وخاتمة

المقدمة

الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات
والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون
الآيات الى قوله تعالى
ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال
الذين كفروا أن هذا الاسحرمبين

استدل على الوحدانية وتفرد الله بالحمد بخلق السموات
والارض والظلمات والنور . ثم بخلق الانسان من طين
وعلمه بما فى السموات والارض وبما يعمل الانسان فى السر
والجهر وما يكسبه من خير أو شر
ثم اثبت النبوة بما أنزله من الآيات التى كذبوا بها
استكبارا وعنادا ولم يخافوا ان يهلكوا كما اهلك من قبلهم
من الامم الذين كذبوا أنبياءهم . بل لجوا فى عنادهم حتى لو
نزل عليهم كتاب فى قرطاس فلمسوه بأيديهم (لقال الذين
كفروا أن هذا الاسحرمبين)

المقصد الاول

وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضى
الامر ثم لا ينظرون الايات الى قوله تعالى
أن ربك هو اعلم من يفضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين

(١)

يدور السياق في هذا المقصد على محاجة المشركين في
هذين الامرين. فيذكر ما يقولونه ويوجبوا لشركهم ويرد عليه
ثم يذكر غيره ويرد عليه وهكذا
فأول ما قالوه انهم اقترحوا أن ينزل عليه ملك بزونه ويؤيده
فيما جاء به من التوحيد والنبوة. وقد أجابهم عن هذا بجوابين
أولهما أنه لو أنزل عليهم ملك ولم يؤمنوا لاهلكوا من غير
تأخير. وقد أراد الله لهم خلاف ذلك وعلم أنهم سيؤمنون
بعد طول العناد ويكون من شأنهم في الارض ما يكون.
وثانيهما أنه لو أنزل ملك لكان في صورة البشر ليمكنهم رؤيته
وسماع كلامه. وحينئذ لا يفهمون الا أنه بشر ويعودون
الى اقتراح ما اقترحوه. ثم ايد ما قاله من أنهم اذا لم يؤمنوا
بعد نزول الملك يهلكوا بما جرت به سنة الله مع الامم

السالفة الذين أهلكتهم الله بعد نزول الآيات التي اقترحوها
على أنبيائهم ولم يؤمنوا بها (قل سيروا في الأرض ثم
انظروا كيف كان عاقبة المكذبين «٢»

ثم أخذ بعد أن ذكر أنه لا سبيل إلى ما اقترحوه يبين
لهم الآيات الكونية على التوحيد بما يغنى النظر فيه عن تلك
الآيات التي اقترحوها. فذكر أن ما في السموات والأرض
وما سكن في الليل والنهار لا يمكن أن يكون لغير الله من
أصنامهم وكذلك خلق السموات والأرض وأطعام من فيها
من خلقه، ثم ذكر أنه بعد هذا لا يمكن أن يشرك مثلهم
لأنه مأمور بالاسلام ويخاف أن عصي ربه من عذاب لا
كاشف له فيه (وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير)

« ٣ »

ثم أخذ يثبت النبوة بعد التوحيد بشهادة الله الذي
انزل عليه القرآن معجزة له لينذرهم به ويمطل ما اتخذوه
مع الله من آلهة غيره وبشهادة أهل الكتاب الذين يعرفونه
كما يعرفون أبناءهم. ولكن المشركين خسروا أنفسهم فهم
لا يؤمنون ويعتزون على الله الكذب من الولد والشريك

ويكذبون بآياته التي أنزلها على نبيه . فويل لهم من يوم يتبرؤون فيه من شركائهم . ولا يجدون فيه غير الله أمامهم (انظر كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون)

« ٤ »

ثم بين السبب في عدم تأثير ذلك الكتاب فيهم وهو أنهم لا يفقهونه ولا تقوي آذانهم على سماعه فينهون الناس عنه ويبتعدون عنه ويهلكون انفسهم بهذا وما يشعرون . فسيرون من العذاب ما يندمون معه على تكذيبهم له وتضييعهم الحياة في اللذات والشهوات (وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون)

« ٥ »

ثم أخذ يسلي النبي على تكذيبهم له ويعدده بالنضر الذي كان لرسله حين كذبوا فصبروا . ويبين له أنه لا سبيل الى الآيات التي يقترحونها لانه علم أنهم لا يستجيبون اليها (انما يستجيب الذين يسمعون والموتى بمعشرهم الله ثم اليه يرجعون)

اقتراح آية ثانية « ١ »

ثم ذكر أنهم اقترحوا آية ثانية أن ينزل عليهم آية عذاب

كأنى انزلت على عاد وغيرهم . وهذا بعد ان علموا بما سبق
 أنه لا ينزل عليهم ملكا لانه لا يريد هلاكهم . فأطعمهم ذلك
 في هذا الطلب الذى علموا أنهم لا يجابون اليه وقد رد عليهم
 بأن الله قادر على تلك الآية وأن لم يرد أن يستأصلهم . وأن
 عنده من الخلق فى الارض والهواء والسماء أمم كثيرة لا يذكر
 فى كثرتها عددهم . ولا يؤثر فيها هلاكهم . ولكنهم لا يعقلون
 هذا لانهم كما قال (صم وبكم فى الظلمات من يشأ الله يضلله
 ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم)

«٢»

ثم ذكر اجوبة أخرى على ذلك أولها أن العذاب الذى
 يطلبونه إذا جاءهم فمن يدعون لكشفه غير الله . وإذا كان
 هذا كذلك فلم لا يؤمنون به من غير أن يطلبوا ذلك الطلب
 الذى يضربهم . على ان اعماد ديمية طلبت ما يطلبونه فلما اتاهم
 كذبوا به وقست قلوبهم فقطع الله دابرهم الخ
 ثانيها أنه لم يقل لهم أنه عنده خزائن الله ولا أنه ملك
 حتى يفترحوا عليه تلك الاقتراحات . وما هو الا رسول
 اتاهم بكتاب من الله لينذرهم به الخ الخ

ثالثها أنهم ليس لهم فيما يعبدون من دون الله يئنة عليه
 بل أهواء لا يصح الارتكان عليها. ولا طلب آيات لازالتهما
 من نفوسهم. أما هو فهو علي بنية من ربه وليس عنده العذاب
 الذي يستمجلون به ولو كانت عنده لقضى الأمر بينه وبينهم
 بأهللاكهم. لأن الله يعلم أنهم لا يؤمنون ولو جاءهم ذلك
 العذاب. وليس بغريب أن يعلم ذلك وعنده مفاتيح الغيب لا
 يعلمها غيره الخ الخ

رابعها أن العذاب الذي يطلبونه سيأتيهم من فوقهم
 ومن تحت أرجلهم حين يقضى الله بهمصر المؤمنين عليهم وسيأتي
 وقت ذلك القدر. ولكل نبأ مستقر. فإن كذبوا بهذا
 وخاضوا في آياتنا بالباطل فأعرض عنهم الخ الخ
 خامسها أن تغفهم عليه بتلك الآيات لا يمكن أن يرد
 عن عتبه بعد أن هداه الله فيعبد من أصنامهم ما لا ينفع
 ولا يضر. وأن له بأيهم إبراهيم أسوة اذ وقف مع قومه
 هذا الموقف بعد أن هداه الله اليه. وحاجوه كما يحاجونه فقال
 اتحاجوني في الله وقد هذان ولا اخاف ما تشركون به.
 فرفع الله درجته وبارك في ذريته وجعل منهم الانبياء

والصالحين. وهداهم الى ذلك الدين الذى يدعوهم اليه ولا
يسألهم أجرا عليه (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل
لا أسألكم عليه أجرا أن هو الا ذكرى للعالمين)

افتراء ثالث

ثم ذكر انهم انكروا رسالة اولئك الانبياء حينما احتج
بهم عليهم. وقالوا ما انزل الله على بشر من شئ. فرد عليهم
بأنه اذا صح ذلك فمن انزل التوراة على موسى وانتم لا تنكرون
ان الله انزلها عليه. بدليل رجوعكم الى اليهود فى امرى
واعترافكم بأنهم أهل الكتاب العالمون بأخبار الانبياء. فما
أجراكم أن تؤمنوا به وقد بعثت لاعدائكم ما لم تعلموا أنتم ولا
آباؤكم. وجئتكم بكتاب مصدق للتوراة التى تستفتون اليهود
فيها. واعلموا أيها المشركون انه لا يوجد اظلم ممن يفترى على
الله هذا الافتراء. فمن ينكر وحي الانبياء كمن يدعى الوحي
كذبا وكن يكذب بما انزل الله. وزعم ان فى امكانه ان ينزل
وتله كلامهم فى الظلم سواء. ولو يرى الظالمون ما أعد لهم من
عذاب الهون فى يوم لا يجدون فيه شفيما من الشركاء الذين
اتخذوهم من دون الله لتركوا هذا المناد وما افتروا هذا

الاقتراء . وكيف يكون لله شفيع أو شريك وهو فائق الحب
والنوى . ومخرج الحى من الميت والميت من الحى الخ الخ .
وقد انتهى فى هذا الى تذكير النبى بأن اشراكهم بمشيئة
الله ليهون الامر عليه . والى نهى المسلمين عن أن يسبوا
أهلهم (فيسبوا الله عدوا بغير علم كالك زينا لـكل أمة
صلهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون)

عود الى اقتراح الآيات

ولما تبين لهم أن نعمتهم ظاهر فى الانكار على جميع
الانبياء عادوا الى ما كانوا عليه من الانكار على نبيهم وحده .
والى اقتراح الآيات عليه ليجدوا من عدم أجابتهم اليها ما
ينفى شيئا من نعمتهم . واجتهدوا هذه المرة فى أن لا يظهروا
بعضهم المتعنت فأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية
ليؤمنن بها . وقد اغتر بعض المسلمين بهذا فتمنى أن يجيئهم
الى ما يطلبون . فرد عليهم بأن الله يعلم مع هذا أنه اذا
اجابهم لا يؤمنون . وما كانوا ليؤمنوا إلا ان يشاء الله ولو
أجيبوا الى أكثر مما يطلبون فأنزلت اليهم الملائكة وكلمهم
الموتى وحشر عليهم كل شيء قبلا . وأنما تلك عادة الجاحدين

قديمًا وحديثًا. يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول ليؤثروا به على ضعاف الايمان. أما المؤمنون حقًا فيعلمون أنه لا فائدة في اظهار الآيات بعد أن حكم الله بين النبي وبينهم. وأيده بالقرآن الذى يعلم أهل الكتاب أنه الحق من ربهم. وليس لهؤلاء الجاحدين بعد هذا الاتخربات وظنون كتلك الافتراءات والاقتراحات التى لا سبيل الى أجابتهم اليها. فيجب الرضا بما قضى الله فيها وأن لا يطيع النبي فيها أحدًا (ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين)

المقصد الثاني

فسكروا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين
الآيات الى قوله تعالى

ولا تقربوا مال اليتيم الا بالى هي احسن حتى يبلغ
اشده - الآية (١)

كان اهل الجاهلية يحملون الميثة ويقولون ما قتله الله
اولى بالحل مما قتله الانسان. فأبطل الله هذا واحل ما ذكر
اسم الله عليه وهو المذبح - وحرم ما لم يذكر اسم الله عليه

وهو الميعة . ونهى المسلمين عن الاستماع لهذا القول الفاسد
الذى يحادّثهم به المشركون وهم في ظلام دامس من ضلالهم
الذى يزين لهم ما يعملون . ويحسن لهم أن يذكروا بمثل هذا
ليخمدوا المسلمين . كما يذكرون اذا جاءتهم آية فيقولون ان
نؤمن حتى ينزل علينا الوحي كما انزل على رسل الله . وهكذا
من يرد الله هدايته يشرح صدره للإسلام . ومن يرد ضلاله
يجمده بمكر ويجرى وراء الشبه والضلالات . فيضيق صدره
ويكون كأنما يصعد في السماء . وكذلك يجعل الله الرجس
على الذين لا يؤمنون . ويهدي من يتذكر اذا ذكر الى
صراطه المستقيم . ويجعل لهم دار السلام جزاء بما كانوا يعملون
أما أعداؤهم من الجن والانس فيعاقبهم في دار الجحيم . كما
يعاقبهم في الدنيا فيذهبهم ويستخلف من بعدهم قوما آخرين
(قل يا قوم اعملوا على مكانتكم انى عامل فسوف تعلمون من
تكون له عاقبة الدار أنه لا يفلح الظالمون)

(٢)

والثاني مما ابطله الله من أحكامهم أفراسهم من حروثهم
وانعامهم نصيبا لله ونصيبا لاصنامهم . فاذا زاد نصيب

الاصنام ولم يزد نصيب الله تركوا نصيبها لها وقالوا لو شاء
 لركى نصيب نفسه . وأن زاد نصيبه ولم يزد نصيبها قالوا لا
 بدلها من نفقة فأخذوا من نصيبه واعطوا السدنتها

والثالث قتلهم أولادهم خوفا من الفقر - والرابع -
 قسمتهم الانعام والحروث الى محجورة للآلهة لا يطعمها
 الا سدنتها . والى انعام حرمت ظهورها وهي البحائر
 والسوائب والحوامى . والى أنعام لا يذكرون اسم الله عليها
 عند ذبحها بل يذكرون اصنامهم

والخامس تحريمهم ما فى بطون هذه الانعام على زوجاتهم
 أن نزل حيا . فإن نزل ميتا اشترك فيه الذكور والاناث
 فكل هذه امور باطلة ابتدعها أهل الجاهلية (افتراء

على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين) (٣)

ثم ذكر أنه هو الذى انشأ الحروث وأباحها للناس
 بشرط أن يخرجوا منها حق الله للفقراء عند حصادها . وأنه
 هو الذى خلق الانعام وأباحها للناس ألا أن تكون ميتة
 او دما مسفوحا أو فستما أهل به لغير الله . وأنه انما حرم
 على اليهود ما حرم منها جزاء بغيرهم . فإن بغير هؤلاء وكذبوا

ما جاء به النبي من تلك الاحكام (فقل ربكم ذو رحمة واسمة
ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين

(٤)

ثم ذكر أنهم وقد ظهر افتراءؤهم على الله في تحريم ما
حرموه - يقولون لو شاء الله ما اشر كنا ولا حرمننا تلك
الاشياء . فهذا التحريم اذا منه وبأرادته ونحوه من مجبورون
عليه . ورد عليهم بان هذا القول ليس عندهم به علم ولا
دليل . ولا يفيد ان الله حرم تلك الاشياء وأنما يفيد أن يأتوا
بمن يشهد ان الله حرمها . وأثنى لهم بمن يشهد لهم بذلك . لان
الله لم يحرم عليهم مثل هذا وأنما حرم الشرك وقتل الاولاد الخ
ووصانا بذلك فقال (وبعهد الله اوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم
تذكرون) الخاتمة

وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل
فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون
الآيات الى آخر السورة

لما فرغ من بيان الاصول الدينية والفروع التي تقدمت

ذكر لهم ان هذا هو الصراط المستقيم الذى يجب عليهم اتباعه .
ثم اخبرهم ان الله انزل التوراة على موسى فيها تفصيل كل شئ
وانزل عليهم القرآن ليقطع عذرهم فى الاستمرار على شركهم
ولئلا يقولوا يوم القيامة انا لم ينزل علينا كتاب بلغتنا وأنما
انزل على طائفتين من قبلنا بلغتهما فلم يمكننا درسه . فالذين
يكذبون بذلك القرآن بعد هذا يكونون اظلم خلق الله ولا
ينتظر ان يصدقوا بشئ بعده الا أن تأتيهم الملائكة أو
عذاب الله يوم القيامة فلا ينفعهم ايمانهم ولا ينجيهم من عذابهم
بل يحاسبون على ما قدموه حسابا تكافأ فيه الحسنة بعشر
امثالها (ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثله وهم لا يظلمون)

« ٢ »

ثم ذكر لهم أن هذا الصراط المستقيم هو دين أبيهم
ابراهيم دين التوحيد واخلاص العبادة لله الذى لا إله غيره
ولا تزر عنده وازرة وزر أخرى بل يحشرهم ويجازى كل
واحد على عمله . وأن الله لم يحترم لهذا الدين الا ليجعلهم
خلائف الارض دون سائر الامم . فان آمنوا به كانت لهم
تلك الخلافة فى الارض . وغفر لهم ما قدموه من شرك .

وان لم يؤمنوا عاجلهم الله بالعقاب وانه يتخاف قوما آخرين
وهذا هو الابتلاء في قوله تعالى (ليبلوكم الله فيما آتاكم ان
ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم)

سورة الاعراف

سميت هذه السورة بذلك لان حديث الاعراف الذي
ذكر فيها هو ما يمكن أن تمتاز به عن غيرها . ويقصد منها
ما يقصد بسورة الانعام من دعوة للمشركين الى الايمان
الا أن سورة الانعام غني فيها غالبا بأخذهم بالحجة والبرهان .
وهذه غني فيها غالبا بأخذهم بالترغيب والترهيب . فلهذا
جاء معظمها في ذكر يوم القيامة وما أعد فيه للطائفتين والعاصين .
وفي حكاية أخبار الاولين مع أنبيائهم وما ابتلاهم الله من آيات
العذاب جزاء عصيانهم . ولما كان الاقتناع بالبرهان مقدما
على الاقتناع بالترغيب والترهيب أخرت السورة التي غني فيها
بالامر الثاني عن التي غني فيها بالامر الاول وأيضا فسدده
السورة قد فصل فيها ما أوجل في أول سورة الانعام من
أخبار القرون الاولى التي أهلكتها الله على تكذيبها برسالتها .
ومرتبة التمهيل بعد الأجمال . والسورة كلها سياق واحد في

ذلك الغرض الا أنه يمكن تقسيمها الى ثلاثة أقسام . أولها
 في تحذير جماعا لما حصل للامم السابقة التي عصت
 أنبياءها من عذاب الدنيا والاخرة . وترغيبهم في الايمان
 بما ذكره من وسائل الترغيب . وثانيها في تفصيل ما حصل
 لتلك الامم مع أنبيائها أمة أمة . وثالثها في أن ما حصل لتلك
 الامم سيحصل مثله لهؤلاء المشركين وأنما على الله امهم
 ويستدرجهم من حيث لا يعلمون

القسم الاول

المص كتاب أنزل اليك فلا يكن في صدرك حرج
 منه لتنذره وذكرى للمؤمنين)

الآيات الى قوله تعالى

والبالد الطيب يخرج نباته بأذن ربه والذي خبث لا
 يخرج الا نكدا كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون



لما كانت هذه السورة لا تشتمل الا على وجوه من
 التحذير والترغيب ابتدأها بما يشير الى هذا الغرض من
 اول الامر كبراعة مطلع لها . فذكر أنه انزل الكتاب للتحذير

والتذكير. ونهي النبي أن يضيق صدره بذلك الامر الهين عليه.
ثم أمرهم باتباع ما أنزل اليهم وذكر من التحذير والترغيب
وجوها أولها أن الله جرت سنته فيمن لا يحجب دعوة الانبياء
أن يهلكهم بيأسه في الدنيا ثم يحشرهم اليه فيسألهم سؤال
عارف بما فعلوه مع أنبيائهم. ويجازيهم بالقسطاس المستقيم
على كل صغيرة وكبيرة منه

ثانيها ان الله ممكن لهم في الارض وجعل لهم فيها
ما يعيشون به وهذا يوجب عليهم أن يشكروه على ذلك
باتباع رسوله

ثالثها ان الله أكرمهم بأن جعلهم من نسل آدم وهو
أكرم خلق الله عليه. ثم حكى من سجود الملائكة له ومن
طرد ابليس من جنته بسبب امتناعه منه ومن احتياله في
إخراجه منها كما أخرج بسببه ما يؤيد عظم منزلته عند ربه
رابعها ان الله جعل لهم لباساً يوارون به سواتهم ولباساً
يتزينون به بعد أن أخرج أبام آدم من الجنة لا يجد ما يستر به
عورته الا ورق الشجر وهذا أيضاً يوجب عليهم طاعته
بطاعة رسوله

خامسها ان الله أخرج آدم من الجنة بفتنة الشيطان مع
 ماله من المنزلة عنده فمن بعض رسوله ويتبع الشيطان في
 تزيين العصيان والفواحش له بمثل ان الآباء كانوا يعملونها
 وأن الله أمر بها مع أن الله لا يأمر بالفحشاء وانما يأمر
 بالقسط يطرد من رحمة الله وتحق عليه كلمة العذاب

سادسها ان الله أحل لهم أن يأخذوا زينتهم عند المسجد
 الحرام وأن يأكلوا ويشربوا ما يشاءون بلا إسراف. وكانوا
 يطوفون بالبيت عراة ولا يأكلون من الطعام الا قوتا ولا
 يأكلون دسما. ولم يحرم عليهم الا الفواحش ما ظهر منها وما بطن
 ومثل هذا لا يصح أن يقابل من عاقل بالآباء والرفض

سابعها ان الله جعل لكل أمة أجلا لا تتقدم عنه ولا تتأخر
 ثم يحجمهم بدمه اليه فمن اتقى فلا خوف عليه. ومن كذب فله
 من العذاب ما بالغ في وصفه وتقن في ذكر حالاته وأظن
 ما شاء أن يعذب الي أن ذكر أنهم حينما يرونه يقولون قد جاءت
 رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل
 غير الذي كنا نعمل قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون
 من الأصنام فلم تنفعهم في ذلك الوقت الذي كانوا يدخرونه له

ثم ذكر من صفات الله بمناسبة ذكر أصنامهم وخيبة
 رجائهم فيها ما يقطع معه بأنها لا قيمة لها . فبين أنه هو الذي
 خلق السموات والارض والشمس والقمر والنجوم فلا يجوز
 أن يدعى غيره معه . بل الواجب أن يدعى وحده تضرعا وخفية .
 وهو الذي يرسل الرياح والسحاب لتسقي به البلاد وتخرج
 الثمرات (والبلد الطيب يخرج نباته بأذن ربه والذي خبث
 لا يخرج الا نکدا كذلك نصرف الآيات لنوم يشكرون)

القسم الثاني

« لقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ... »

الآيات الى قوله تعالى

من يهد الله فهو المهتدي ومن يضل فأولئك هم الخاسرون

ذكر من أخبار الاولين قصة نوح مع قومه وكيف
 أغرقهم الله بتكذيبهم له . وقصة هود مع عاد وكيف قطع
 الله دابرهم بتكذيبهم له . وقصة صالح مع ثمود وكيف أخذتهم
 الرجفة بتكذيبهم له . وقصة لوط مع قومه وكيف أهلكوا
 لتكذيبهم له . وقصة شعيب مع أهل مدين وكيف أخذتهم
 الرجفة بتكذيبهم له

ثم ذكر أن هذه كانت سنة الله في كل قرية بعث فيها نبي
فكذبوه . ولو أنهم آمنوا بأنبيائهم لفتح الله عليهم وبارك فيهم
ولكنهم جاءتهم رسالهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما
كذبوا من قبل فطبع الله على قلوبهم (وما وجدنا لأكثرهم من
عهد وان وجدنا لأكثرهم لفسقين) (٣)

ثم استأنف ذلك القصص فذكر قصة موسى وأما
أفردا عن تلك القصص وفصلها عنها بما سبق اهتماما بها .
وهي قصة طويلة في سياق ترتبط آياته بعضها ببعض ارتباطا
ظاهرا . ابتدأها بما جرى لموسى مع فرعون وختمها بما جرى
له مع قومه إلى أن أمرهم بدخول القرية وأن يقولوا عند
دخولها حطة (فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل
لهم فarsلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون)

(٤)

ثم قص عليهم ما كان منهم بعد وفاة موسى من الاعتداء
في السبت الذي هو من أعظم شعائرهم . وكيف أخذهم الله
على ذلك بعذاب شليس وجعل منهم فردة وخنزير وبعث عليهم
من يسومهم سوء العذاب إلى يوم القيامة وفرق قدامهم في

الارض امما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك . ثم خلف
من بعد هؤلاء . خاف كانوا كلهم فساقا يأخذون عرض هذا
الأدنى ونسوا ما أخذ عليهم من الميثاق ان لا يقولوا على الله
الا الحق بعد تأكده عليهم برفع الجبل الذى أخذ عليهم فيه
حتى صار فوقهم كأنه ظلة . وبعد أمرهم أن يأخذوه بقوة ولا
ينسوه . هذا الى ذلك الميثاق العام الذى اخذه الله على بنى آدم
وأودعه في فطرهم أن لا يشركوا به ولا يعصوه . وبعد أن
شاهدوا ما جرى لاحد علمائهم حين نقض العهد وانسلخ من
الآيات التى اكرمه الله بها فأذله وجعله في مثل صغار الكلب
الذي هو أخس الحيوانات . وهكذا يسكون حال كل شخص
يكذب بآيات الله أقبح حال . ومثله اسوأ مثل (من يهد الله
فهو المهتدى ومن يضل فأولئك هم الخاسرون)

الخاتمة

ولقد ذرأنا لجنهم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب
لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون
بها أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون)
الآيات الى آخر السورة

(١)

ذكر بعد أن قص ما شاء من أخبار الأولين أن الله هكذا
 اراد أن يجعل البشر على قسمين ضال ومهتدي . فجعل للضال قلوبا
 لا يفقه بها حتى غفل عن ذكر الله والحد في أسمائه . وهدي
 الثاني الى الحق فجعلوه اماما لهم فيما يحكمون . والاولون الذين
 كذبوا بآيات الله لا بد أن يصيروا الى ما صارت اليه تلك
 الامم القديمة وأنما على الله لهم ليقطع عذرهم ثم يأخذهم
 بشدة ويكيد لهم كيذا عظيما . وهذا لاهمالهم التفكير في
 أمر هذا النبي الذي لم يكن مجنوناً حتى يهملوا ما جاءهم به
 من النذر . وتركهم النظر في ملكوت السموات والارض
 ليعرفوا ان له خالفاً قبل أن يدرهم الأجل فلا يمكنهم النظر
 ولكن (من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون)

(٢)

ثم ذكر أنهم يسألونه عن ذلك اليوم الذي ينذرهم به سؤال
 استهزاء واستبعاد له فأجابهم بأن علمه عند الله وما هو الا
 بشر لا يعلم الغيب ولا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله .
 فهو الذي خلقهم ويقدر على نفعهم وضرهم ولكنهم يشركون

به مالا يخلق شيئا ولا يستطيع لهم نصرا . من الاصنام التي
ليست لها ارجل تمشي بها ولا عين تبصر بها (وان تدعوهم
ألى الهدى لا يسموا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون)

«٣»

ثم امر النبي أن يقابل هذا كله بأمرين أولهما العفو
والاعراض . فإن بدرت منه بادرة غضب استعاذ بالله منها
فلا يعضى فيها كما يعضى أولئك المشركون في غيهم ثم لا يقصرون .
وهذا كما يعضون في اقتراح الآيات على النبي وأذا لم يأتهم
بآية قالوا هلا اجتبيتها (اقترحتها) على ربك . ولا يعرفون
انه نبي لا يصح أن يقترح على الله بل يجب عليه أن يتبع ما يوحى
اليه من آيات القرآن التي هي بصائر من الله . ومن استمع لها
إذا قرئت اهندي بها واستغنى بها عن غيرها

وثانيها الالتجاء الى الله بالذكر في الغدو والاصال
والمواظبة عليه كما يواظب عليه من عند الله من الملائكة (أن
الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسجدون له
يسجدون)

﴿ فهرست الجزء الاول ﴾

- ٢ - اهداء الكتاب - ٣ - الغرض من الكتاب - ٧ -
 من الف في هذا الفن - ٩ - أصول عامه - ١٤ - فاتحة القرآن
 - ١٧ - سورة البقره - ٤٠ - سورة آل عمران - ٥٧ -
 سورة النساء - ٧٥ - سورة المائدة - ٨٨ - سورة الانعام
 - ١٠٣ - سورة الاعراف

(فهرست الخطأ والصواب)

صواب	خطأ	ص
تعتقلون	تعتقلون	٣٣
الم تر الى الذين	الم تر الذين	٣٤
بشهادته	بشهادته	٤٣
وأأمهم	وأأمهم	٦٢
يدعو	يدعوا	٥٦
طعمة بن أيرق	طعمة بين أيرق	٦٩
يمن	يمن	٧٢
المهود	المود	٧٦
يؤثر	يؤثر	٩٤

الإفقا المحدثا

في نظم القرآن

﴿ الجزء الثاني ﴾

(تأليف)

عبد المتعال الصعبري

— المدرس بالجامع الاحمد —

سنة ١٩٢٦ م = ١٣٤٤ هـ



(المطبعة العمومية بطنطا)

سورة الأنفال

سميت هذه السورة بذلك لذكر حكم الأنفال والغنائم فيها . وقد نزلت عقيب غزوة بدر لشرح وقائعها واستنباط وجوه العبر منها ومؤاخذة المسلمين على أمور بدرت منهم فيها . فقد استنهضهم النبي لقتال المشركين ببدر فذكره فريق منهم لقاءهم لما كانوا فيه من قلة العدد والسلاح . ولما حضروا بدرا ونصرهم الله على المشركين وجاء وقت قسمة الغنائم تنازعوا عليها وظهر على بعضهم عدم الرضا بما فعله النبي فيها . فسأله بعضهم كيف تقسم ولما لم يحكم فيها المهاجرين أم للانصار أم لهم جميعا . وغضب آخرون من تنفيذه بعض من أحسن في القتال وأعطائه من المغنم زيادة على سهمه . وتطلع فريق إلى الخمس الذي جعل لله والرسول وذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل . وهذا الاختلاف في أمر تلك الغنائم كان السبب المباشر لنزول تلك السورة . ولهذا جعل ما عداه مما ذكر فيها من شرح وقائع تلك الغزوة مرتبا عليه في الأول والآخر

فقد ذكر في الاول أنهم سألوه عن قسمة تلك الغنائم
لما حصل في نفوسهم من جهةها فأجابهم على سبيل الاجمال
بأن قسمة الغنائم لله والرسول يقسمانها على ما يشاء الله ويرى
فيه المصلحة وان كره ذلك من يجملها . ثم ذكر ما يؤيد
هذا من غزوة بدر وخروجهم لها كارهين جهلا بما كان لهم
فيها من النصر والظفر . وقد ذهب في هذا السبيل ما شاء
ثم رجع الى تفصيل ما أجمله في الاول فبين مصارف الغنيمة
وكيفية قسمتها وأيد كون الخمس لله والرسول بما حصل في
غزوة بدر من امداد الله لهم بالملائكة وغير ذلك مما لولاه
ما تم النصر لهم . وقد مضى ها هنا في شرح ما بقي من
غزوة بدر وما يتعلق بها الى آخر هذه السورة . فهي حينئذ
تنقسم الى قسمين أولهما في تفويض قسمة الغنائم الى الله
وفيما يتصل به من غزوة بدر . وثانيهما في تفصيل قسمة
الغنائم وما يتصل به من تلك الغزوة . وقد ذكرت هذه
السورة بعد سورة الاعراف لان قتل كبار المشركين في
غزوة بدر المذكورة في سورة الانفال كان مما اندرأوا به في
تلك السورة . فذكرت هذه السورة بعدها كتدقيق لما

أوعده الله • وتصديق لما أخبر به

القسم الاول

يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا
الله وأطيعوا ذات بينكم واطيعوا الله ورسوله ان
كنتم مؤمنين

الآيات الى قوله تعالى

وأن تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير

(١)

ذكر أنهم سألوه عن قسمة الغنائم سؤالا ناشئا عن عدم
اطمئنانهم لما حصل في قسمتها في غزوة بدره فأجابهم بأن
قسمة الغنائم ليس مما يعنهم وإنما هي لله والرسول فتكون
على وفق ما تقتضيه حكمة الله وان جهلوا وحصل في
نفوسهم من ذلك ما حصل • فليتقوا الله وليفوضوا إليه
الامر ليكونوا من المؤمنين الذين اذا ذكر الله وجلت
قلوبهم (اولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم
ومغفرة ورزق كريم)

ثم أراد اقناعهم بهذا فذكر أنهم خرجوا لغزوة بدر على كره منهم وكانوا يريدون أن يلحقوا بالمير وفيها أربعون فارسا مع أبي سفيان ولا يخرجوا للنفير وهم ألف مقاتل مع أبي جهل . ويريد الله أن يحق ما أخبر به في سورة الاعراف من قطع دابر المشركين . وقد كان ما اراده الله فأمدم بالملائكة لتطمئن به قلوبهم والقي الرعب في قلوب أعدائهم وأمرهم أن يقاتلوهم زحفاً متراصين لأنهم كانوا في قلة لا تحتمل تفرقهم . فأحكم تدبيرهم بمدان أمدم بالملائكة وغيرهم وبهذا وذلك تم لهم النصر وكان الله هو القاتل والرامي . وقد فعل ذلك ليعطي المؤمنين عطاء جميلاً ويوهن كيد الكافرين فيعلموا أن استفتاحهم على المسلمين بأصنامهم لا يفيدهم ويأتي بعكس مرادهم « ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وان تنتهوا فهو خير لكم وان تعودوا نعمد ولن تغني عنكم فتكم شيئاً ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين »

ثم أمرهم بعد هذا أن يطيعوا الله والرسول حتى

لا يعودوا الى ما حصل منهم في تلك الغزوة من الخروج لها
 كارهين والاختلاف في قسمة غنائمها . وأن يستجيبوا لله
 وللرسول اذا دعاهم للجهاد الذي فيه حياتهم . وان يتقوا
 الخلاف والفتن ويذكروا أنهم كانوا قليلا مستضعفين في
 الارض فأيدهم الله بفضله اتحادهم وطاعتهم لرسولهم . وان
 لا يتخونوا الله والرسول في القتال والغنائم ويعلموا أن الاموال
 ليست الا فتنة لا ينبغي الغلو في التطلع اليها . وان التقوى
 والعمل الصالح خير من تلك الاموال وبه ينصرون على أعدائهم
 ويكفر عنهم سيئاتهم (يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم
 فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم)

« ٤ »

ثم أمر النبي أن يذكر بعد هذا النصر الذي ناله في غزوة
 بدر حالا من أحراله الاولى اذ كان ضعيفا في مكة يتأمر أهواها
 على قتله أو أخرجه منها . واذا يستهزئون بآيات الله فيقولون
 انها أساطير الاولين ويدعون الله ان كان هذا من عنده ان
 يأتيهم بعذاب اليم . وما كان الله ليعذبهم والرسول بين
 ظهرانيهم والمؤمنون يستغفرون الله بينهم . اما وقد

أخرجوهم من بينهم فقد استحقوا ان يعذبهم الله بصددهم
 المسلمين عن المسجد الحرام واخراجهم منه وبما يأتون فيه
 من العبادات الفاسدة لطوافهم به عراة يصفرون ويصفقون
 فليمنفقا ما ينفقون من اموالهم في قتال المسلمين فستكون
 عليهم حسرة ثم يغلبون الا ان ينتهوا عن كفرهم فيغفر الله
 لهم والا يسلط عليهم المؤمنين حتي يكون الدين كله لله (فان
 انتهوا فان الله بما يعملون بصير وان تولوا فاعلموا ان الله
 مولاكم نعم المولى ونعم النصير)

القسم الثاني

واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسة وللرسول ولذي
 القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله وما
 أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء
 قدير (الايات الى آخر السورة)

« ١ »

هذا تفصيل لما اجمله فيما سبق من تفويض خمسة الغنائم
 لله والرسول فبين هنا ان اربعة اخماسها للمجاهدين وخمسة

فهدى الرسول وذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل
 لا يمسح للمجاهدين التطلع اليه بعد ان آمنوا بالله وراوا
 ما نزل عليهم يوم بدر من الامدادات التى لولاها لما حازوا
 تلك الغنائم التى يطعمون فيها كلها ولا يرضون بقسمة الرسول
 فيها . ففى يوم بدر كان المشركون بالعدوة القصوى بجانب
 الماء والمسلمون بالعدوة الدنيا حيث لاماء وكانوا كثيرا
 فقللهم الله فى اعين المسلمين وامرهم ان يثبتوا لهم ولا يتنازعوا
 ليقبضوا عليهم . ولا يكونوا كالمشركين فى خروجهم للقتال
 بطرا ورتاء الناس يزين لهم الشيطان افعالهم ويعددهم بأنه
 لا غالب لهم ويقول انصارهم من المنافقين وقد ايقنوا بهلاك
 المسلمين انهم قد غرهم دينهم فلم يتدبروا فى عاقبة امرهم
 ثم ذكر أنه مع هذا كله ارسل الله عليهم الملائكة
 يضربون وجوههم وأدبارهم وأهلكهم كما أهلك آل فرعون
 ومن قبلهم . وغير ما بهم من نعمة لأنهم غيروا ما بأنفسهم
 كما غير آل فرعون ومن قبلهم (كذبوا بآيات ربهم
 فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا
 ظالمين)

ثم تخلص من هذا إلى بيان أحوال المشركين وما يلزم في قتالهم فذكر لهم حالين أولهما أنهم قد أصروا على الكفر فلا يرجى منهم أيان . وثانيهما أنهم لا وفاء لهم فكلمنا عاهدوا عهدا نقضوه ولا يبالون . ثم ذكر أن مثل هؤلاء يجب استعمال الشدة في حربهم ونقض ما يخاف نقضه من عهودهم وأعداد ما استطاع من قوة وخيل لقتالهم . ومع هذا أن جنحوا للسلم وجبت مسالمتهم وأن أرادوا به الخداع واكتساب الوقت لاستئناس الحرب فيأن الله يكره في المؤمنين شرورهم وينصرهم عليهم كما نصرهم في غزوة بدر مع قلتهم (هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين واللف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم أنه عزيز حكيم)

ثم ذكر بعد أن وعدهم بنصره وكفايته أنه يجب أن يثبت منهم كل عشرين لما اثنين من أعدائهم وكل مائة لآلئ منهم . ثم خفف عنهم هذا وأوجب أن يثبت كل مائة

لمائتين وكل ألف لافين . ثم وعدم بالنصر مع هذا أن
صبروا فقال (والله مع الصابرين)

« ٤ »

ثم ذكر أنه أن لا يصح لهم ان يبقوا على المشركين
بالاسر حتى يكثُر القتل فيهم ويقروا عليهم . وعاتبهم على
اطلاقهم اسرى بدر وقبول الفداء منهم ومع هذا أحله لهم ولم
يرده على اولئك الاسري سواء منهم من كان على الكفر
ومن كان مسلما ولم يهاجر وقاتل معهم . ووعد هؤلاء بأنهم
أن كانوا مؤمنين حقيقة فسيؤتيهم الله خيرا مما أخذ منهم
(وان يريدوا اخيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن
منهم والله عليم حكيم)

« ٥ »

ثم رغب هؤلاء الذين لم يهاجروا في الهجرة بعد أن
راى ما كان منهم من الخروج مع المشركين لقتال المسلمين
فجعل المهاجرين الاولين والانصار من الأوس والخزرج
بعضهم أولياء بعض . وقطع الولاية بينهم وبين الذين لم
أج - وأن لم يكن قطما تاما . فجوز نصرهم على من

لم يكن بينه وبين المسلمين ميثاق لا على غيره . وقطع الولاية
قطعا تاما بين المسلمين والكافرين فجعل بعضهم اولياء بعض
ثم زاد في الترغيب فذكر أن أولئك المهاجرين والانصار
هم المؤمنون حقوا ألحقهم من يهاجر بعدهم فقال (والذين آمنوا
من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولوا
الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله ان الله بكل شيء
عليم)

سورة التوبة

سميت هذه السورة بذلك لانها نزلت لقطع عهد
المشركين وعدم قبول شيء منهم الا التوبة من شركهم
وقد بلغ المسلمون في وقت نزولها من القوة ما يمكنهم به
ان يجمعوا العرب على دين واحد ويعجوا الشرك من بينهم
فيكون الاسلام هو الدين الوحيد في تلك الجزيرة . وكان
مع المسلمين فيها ثلاث طوائف للمشركين واهل الكتاب
والمنافقون . فأمروا ان يقتلوا الاولين ولا يقبلوا منهم
الا التوبة من الشرك . وان يقتلوا اهل الكتاب حتى

يعطوا الجزية . وان لا يقبلوا المنافقين بينهم ويعاملوهم
كغيرهم . فذلك ثلاثة مقاصد في هذه السورة
ولما نزلت هذه السورة لتشريد المشركين والتنكيل
بهم وتسليط المسلمين عليهم . وكان هذا من تمام ما اوعدهم
الله به في سورة الاعراف . ذكرت بعد سورة الانفال تكميلاً
للمقصود منها . حتي قال بعض العلماء انهما سورة واحدة

المقصد الاول

براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين
فسيحوا في الارض اربعة اشهر واعلموا انكم غير معجزي
الله وان الله مخزي الكافرين

الآيات الى قوله تعالى

يا أيها الذين آمنوا أنما المشركون نجس (الآية)

« ١ »

جعل المشركين في تسليط المسلمين عليهم قسمين
أولهما من كان لا يحافظ على عهد النبي وينوي الخيانة . وهؤلاء
أمر المسلمون بنقض عهودهم وامهالهم أربعة اشهر . وهي

الاشهر الحرم من يوم الفجر الى العاشر من شهر ربيع الآخر
ثم لا يكون لهم امان فيقتلون ويؤسرون ويحصرون أن
ان تحصنوا ويقعد لهم بكل مرصد. الثاني من حافظ على
عهد النبي ولم ينقصه شيئا وهؤلاء أمور المسلمون أن يتموا
اليهم عهدهم إلى مدتهم . فإذا انقضت فلا يجدونه لهم .
ويكون حكمهم في عدم الامان كغيرهم . ثم استثنى منهم
من يقصد النبي لسمع كلام الله ويؤمن أن اتنع به . فإن آمن
فبها والا وجب عدم التعرض له حتى يصل إلى دار قومه
(وأن احد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام
الله ثم ابلغه ما أمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون)

« ٢ »

ثم ذكر من تحريضهم عليهم وترغيبهم في قتالهم ونأيد
نقض عهودهم وجوها أولها أنهم أن يظفروا بالمسلمين
لا يرقبون فيهم عهدا ولا ذمة . ومن لا يحترم عهدا لا يحترم
عهده بل يجب قتاله الا ان يتوب ويعاهد النبي دلي الايمان
فيصان دمه كاخوانه في الدين فإن نقض عهد الايمان أهدر
دمه كما كان

ثانيها أنهم نكثوا أيمانهم بعد عهد الحديبية وأعانوا
 بنى بكر على خزاعة حلفاء النبي . وهم الذين هموا بأخراجه
 من مكة لو لم يخرج بنفسه خفية منهم الخ

ثالثها ان الله ضمن لهم النصر عليهم ليشقى صدورهم
 ويذهب غيظ قلوبهم . ويتوب على من يشاء من المشركين
 اذا شاهد تأييد الله لهم

رابعها أن الله يريد ان يميز المخلص في ايمانه وهو من
 جاهد في سبيله ولم يتخذ وليجة من دونه ممن لم يخلص في
 ايمانه فينفرد من قتال اوليائه من المشركين

خامسها أنهم قوم كفار عبدة اصنام فلا يصح ان يبق
 مسجد الله الحرام بأيديهم . يقومون بعمارته ويسقون الحاج
 به ويفخرون على المسلمين بتلك الوظائف وهم اولى بها
 منهم . ومع هذا فما هي تلك الوظائف التي يفخرون بها من
 العمارة والسقاية وغيرهما بجانب الايمان بالله واليوم الآخر
 والمجاهدة في سبيله . وبجانب ما اعد الله للمؤمنين من
 جنات لهم فيها نعيم مقيم (خالدين فيها ابدا ان الله عنده
 اجر عظيم)

ولما كان المسلمون لهم في المشركين آباء وابناء واخوان
 وبنان يشق عليهم ان يقاتلوهم . وكان لهم عندهم في مكة
 اموال وتجارات يخافون عليها . ذكر انه لا يصح ان تقدم
 القرابة على الدين ولا مصلحة الدنيا على الآخرة . وان
 الله ورسوله اولى بهم من آباءهم وابنائهم وهو الذي نصرهم
 في مواطن كثيرة خصوصا يوم حنين اذا اعجبهم كثرتهم
 فلم تغن عنهم شيئا ولم ينفعهم الا تأييد الله بجنوده لهم
 وان المشركين نجس يجب التبرؤ منهم ان كانوا اقرباء
 وابعادهم عن المسجد الحرام فلا يقربونه بعد عامهم هذا
 لحج أو غيره . وان خاف المؤمنون من ذلك انقطاع ما كانوا
 يجلبونه في موسم الحج من الارفاق والمساكين (فسوف
 يغنيكم الله من فضله ان شاء الله عليهم حكيم)

المقصد الثاني

قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا
 يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من

الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدهم صاغرون
الآيات الى قوله تعالى

أنما النسي زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا — الآية

« ١ »

أمر بقتال اهل الكتاب حتى يؤمنوا أو يعطوا الجزية
وذكر في تبرير قتالهم وجوها اولها انهم لا يؤمنون بحق
الايان بالله واليوم الآخر. ثانيها انهم صاروا كالشركين في
نسبة الاولاد لله. فاليهود تقول عزير بن الله كما تقول النصارى
ذلك في عيسى ابن مريم. ثالثها انهم يؤذون المسلمين
ويريدون ان يطفئوا نور الله وهو دين الاسلام الذي يقفون
في طريقه. وقد اراد الله ان يظهره على الدين كله. ورابعها
ان احبارهم ورهبانهم يأكلون اموال الناس بالباطل
ويكزنون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله (فبشرهم
بعذاب اليم يوم يحى عليها في نار جهنم فتكون بها جباههم
وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما
كنتم تكنزون)

ثم تكلم عن زمن القتال فأباح للمسلمين أن يقاتلوا في جميع شهور السنة حتى الا شهر الحرم . وقد كانوا يحرمون القتال فيها في الجاهلية ويحلون النسيء وهو تأخيرها عن مواضعها في السنة اذا صادفتهم وم محاربون أو لم يوافق الحج فيها موسم تجارتهم . خرم ذلك النسيء وقال عنه أنه زيادة في الكفر (يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء اعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين)

المقصد الثالث

يأيها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل
الآيات الى آخر السورة

كانت غزوة تبوك التي خرج فيها لقتال الروم في وقت

الصيف والحر شديد والروم أقوىاء ليسوا كغيرهم من قبائل العرب الذين كانوا يقاتلونهم فهناك ظهر المتناقون في ثوبهم الحقيقي وتناقلوا عن الخروج وأثروا في كثير من المؤمنين فتناقلوا معهم واستأذن بعضهم النبي في عدم الخروج فأذن لهم فنزلت هذه الآيات لتويع المتناقين مؤمنين كانوا أو منافقين وأمرهم بالجهاد والخروج له ولو ثقل عليهم (خفافا وثقالا) ولم يكن السفر إليه سهلا قريبا (قاصدا) ومعاملة النبي على أذنه لهم في التخلف وكان الأولى عدمه ليظهر نفاقهم وينفضح حالهم . فقد كانوا بحيث يكتنهم الخروج ولم يكن لهم عذر في التخلف عنه . ولكن كره الله خروجهم فنبطهم لانه علم أنهم لو خرجوا لاجتهدوا في تفريق كلمة المسلمين وكانوا عيوننا لأعدائهم ينقلون أخبارهم اليهم كما كانوا يفعلون قبل تلك الغزوة (لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور حتي جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون)

« ٢ »

ثم أخذ في شرح أحوالهم التمييزية وتفصيل أفعالهم الذميمة ليبرر بذلك ما أراده من نبذهم وعدم قبول نفاقهم

ورفع الامان عنهم فذكر منهم أقساماً أولها الذين اذا دعوا
 للقتال ذهبوا الى النبي ليأذن لهم في عدم الخروج ولا يوقعهم
 في الفتنة وعرضوا عليه في نظير هذا من المال ما ينفقه في
 القتال . فاذا خرج المؤمنون للقتال وأصابتهم حسنة ساءتهم
 فاذا أصابتهم سيئة فرحوا لعدم خروجهم معهم مع أنهم
 لا يصيبهم الا ما كتب الله لهم من إحدى الحسنيين النصر
 أو الشهادة في سبيل الله . أما هم فالمال الذي قدموه في نظير
 قعودهم لا يقبل منهم ولا يثابون عليه في الآخرة . ثم نهى
 النبي أن يتطلع الى أموالهم واولادهم ليأخذ منها مثل ما كان
 يأخذه منهم مما كانوا يظهرونه للمؤمنين خداعاً أنهم منهم
 ومما منهم ولكنهم قوم يفرقون (لويجدون ما جأ أو مخارات
 أو مدخلا لولوا اليه وهم يجمعون)

« ثانياً »

الذين يلحزون النبي في الصدقات ويقولون أنه يؤثر بها
 أقاربه واهل مودته مع أنها تصرف معصراً لا أثر للهوى فيه
 ولا يأخذها الا من يستحقها من الفقراء والمساكين
 والعاملين علمياً الخ

« ثالثها »

الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن يسمع كل ما يقال
له ولا يتدبر فيه . ثم يخلفون مع هذا للمؤمنين أنهم منهم
ليرضوهم ولو كانوا صادقين في حلفهم لارضوا الرسول الذي
يطعنون فيه وهو احق ان يرضوه منهم ولكنهم يفعلون
ذلك استهزاء بهم ويحذرون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم
بحقيقة أمرهم وانهم كاذبون في حلفهم فيغضبون عليهم الخ
ثم ذكر انه يجب ان يكون المنافقون بعضهم لبعض
لا يصح ان يدخلوا بين الرسول والمؤمنين فيؤذوه ويحاولوا
ان يسترضوهم بعد اذائه . بل يجب ان يتركوا وحدهم يأتون
منكراتهم ويمخلون بأموالهم وينسئون الله ليمذبهم كما عذب
الذين من قبلهم قوم نوح وعاد الخ

وأنه يجب ان يكون المؤمنون بعضهم أولياء بعض فلا
يوالون هؤلاء الذين يطعنون في نبيهم ويحاولون مع هذا
ان يسترضوهم . واذا كان المنافقون يوالى بعضهم بعضا على
الامر بالمنكر والنهي عن المعروف فيجب ان يوالى المؤمنون
بعضهم بعضا على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ايرحمهم

الله وبدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار الخ
ثم امر النبي ان يجاهدكم كما يجاهد الكفار لانهم قالوا كلمة
الكفر (هو اذن) فصاروا مثلهم بل هموا بما لم ينالوا من
الفتك برسول الله (وما نقموا الا ان اغدام الله ورسوله من
فضله فان يتوبوا يك خيراً لهم وان يتولوا يعدهم الله عذاباً
اليماً في الدنيا والآخرة ومالهم في الارض من ولى ولا نصير)
« رابعها »

الذين عاهدوا الله لئن آتانا من فضله لنصدقن فلما آتاهم
من فضله بخلوها به ثم سخروا من المؤمنين الذين لا يجدون الا
جهدم فيتصدقون منه على قدر طاقتهم سخر الله منهم ولهم
عذاب اليم . فليستغفر النبي لهم او لا يستغفر لهم فلا بد من
عذابهم ولن يغفر الله لهم (فلك بأنهم كفروا بالله ورسوله
والله لا يهدي القوم الفاسقين)

« ٣ »

ثم رجع الى اصل الكلام وتخلفهم عن غزوة تبوك
وفرهم به ليرتب عليه تلك الاحكام التي ذكرها . وأولها
أن لا يستجيبهم بمد هذا في قتال أعدائه . وثانيها ان لا يصلى

على أحد منهم مات أبدا . وثالثها ان يكف نفسه عن اموالهم
 فلا يأخذ منها شيئا كما كان يأخذ قبل ان يجاهروا بنفاقهم .
 فليتركهم واموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها
 فلا ينفقونها في سبيل الله واذا امر بالقتال اصحابها ابعادوا
 يستأذنون النبي ليركهم مع النساء والضعفاء (الخوالف)
 (لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وانفسهم
 واولئكَ لهم الخيرات واولئكَ هم المفلحون أعد الله لهم جنات
 تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم)

« ٤ »

ثم اخذ في شرح احوال المنافقين من الاعراب (اهل
 البادية) وكان ما تقدم في منافق المدينة . فذكر أنهم فعلوا في
 تلك الغزوة ما فعله الاولون فقمعد واعنهم بأذن من النبي
 وبلا أذن . ولم يكن لهم في التخلف اعدار حقيقية من
 ضعف أو مرض أو فقر بل كانوا أغنياء رضوا بأن يكونوا
 مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون . فلما رجع
 النبي والمؤمنون من تلك الغزوة سالمين جاؤا اليهم ثانيًا
 يعقدون اليهم ويحلفون لهم ليرضوا عنهم (يحلفون لهم

اترضوا عنهم فأن ترضوا عنهم فأن الله لا يرضى عن القوم
الفاستقين (

« ٥ »

ثم أخذ في شرح أحوالهم بقطع النظر عن هذه الغزوة
كما شرح أحوال منافق المدينة بعد شرح ما فعلوه فيها .
فذكر أن الأعراب أشد كفرا ونفاقا من أهل الحضر .
فمنهم من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بالمومنين الدوائر
عليهم دائرة السوء الا قليل يتخذ ما ينفق قربات عند الله
فأولئك سيدخلهم الله في رحمته مع المهاجرين والانصار
والذين اتبعوهم بأحسن

ومنهم من تغالى في نفاقه ومرد عليه كما مرد منافقوا
أهل المدينة . ومنهم من لم يتغال في النفاق بل خلط هملا
صالحا هو خروجه مع النبي في سائر الغزوات . وآخر سيئا
هو تخلفه عن تلك الغزوة مع ندمه عليه وأسراعه الى التوبة
مذه . فهو لاء يرجي أن يقبل الله توبتهم الخ

ومنهم من بقى موقوفا امره لعدم مسارعته الى التوبة
من تخلفه . ككعب بن مالك الذي قال له النبي اعتذر من

صنعك فقال لا حي تنزل توبتي . فأما يعذبه الله وأما يتوب
 عليه والله عليم حكيم . ومنهم الذين اتخذوا مسجدا يضارون
 به مسجدا قباء ويفرقون بواسطته بين المؤمنين . وقد
 أمر النبي بتخريبه وعدم الصلاة فيه . فإنه لا يصح أن يترك
 الصلاة في مسجد أسس على التقوي مع رجال يحبه الله
 إلى مسجد أسست بذيانه على شفا جرف هار فانها ربه في نار
 جهنم . ورجال تأصلت الريبة في قلوبهم فلا تزول إلا أن
 تقطع قلوبهم والله عليم حكيم . فلا يمكن أن يكونوا كقوم
 اشترى الله أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل
 الله فيقتلون ويقتلون الخ الخ

ثم ذكر انه ما كان للنبي ولا للمؤمنين أن يصلوا في
 ذلك المسجد ويستمروا على الاستغفار لأولئك المنافقين
 المشركين من بعد ما تبين لهم أنهم اصحاب الجحيم . وأن
 استغفار ابراهيم لا يبيح وقد كان مشركا لم يكن إلا لانه
 وعده أن يؤمن . فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه وترك
 الاستغفار له . ثم بين أنه لا يؤاخذهم بما كان منهم من
 الاستغفار لهم وانه أولى منهم بأن يتخذوه وليا ونصيرا نقل

(وما كان ليضل قوما بعد اذ هدام) الايتين

« ٦ »

ثم تكلم فيمن تخلف عن تلك الغزوة من المؤمنين وقد قلنا ان فريقا منهم تخلف عنها كسلا وبماثير المنافقين قلما فرغ من الكلام على المنافقين وذمهم على تخلفهم عنها انتقل الى من تخلف عنها من المؤمنين ومن ضاقت به نفسه وكاد يزيغ قلبه من شدتها فبين أن الله قبل توبتهم مما حصل منهم وخصوصاً الثلاثة الذين خلفوا الخ

ثم أمرهم ان يتقوا الله ولا يعودوا الى التخلف عن الجهاد في سبيله فانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب فيه ولا يتفقرون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا جازاهم الله عليه أحسن الجزاء . ثم استثنى من ذم التخلف عن الجهاد من يتخلف للتعفة في الدين فقال (ما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون)

« ٧ »

ثم أمرهم ان يقائلوا اولئك المنافقين ولا يلينوا لهم .

وميجهم عليهم بذكر بعض قبائحهم وان منهم من اذا نزلت
سورة يتول لآخرانه في النفاق استهزاء ايكم زادته هذه
ايـانا . او ينظر بعضهم الى بعض لينصرفوا عن سماعها اذا لم
يرهم احد من المسلمين . ولو كانوا يفقهون ما فعلوا هذا
وشكروا الله الذي ارسل فيهم رسولا منهم حريصا على
ايصال الخير اليهم وهو بالثؤمنين رؤوف رحيم (فان
تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب
العرش العظيم)

سورة يونس

سميت هذه السورة بذلك لذكر قصة يونس فيها .
والفرس منها التنويه بشأن القرآن ودفع اعتراضات المشركين
عليه . وتنقسم السورة باعتبار هذا الى قسمين اولهما جاء
في سرد تلك الاعتراضات والجواب عنها . وثانيهما في
استمالتهم اليه بالترغيب والترهيب . فالاول ببيان فضله
وعظم ما جاء به . والثاني بذكر بعض قصص الاولين وما
حصل لهم بسبب تكذيبهم لرسولهم وتذليل ذلك بما ايناسبه

مما ختمت به السورة

القسم الاول

التي تلك آيات الكتاب الحكيم

الآيات الى قوله تعالى

هو يحيى ويميت واليه ترجعون

نوه بشأن القرآن ثم ذكر من اعتراضاتهم عليه وجوها
أولها أنهم تعجبوا ان يوحى الى رجل منهم بما ينذرهم
بيوم يعذبون فيه ويكون للمؤمنين قدم صدق عند ربهم
فهذا لا يكون وانما هو سحر مبين

وقد أجاب عنه بجوابين أولهما ان هذا اليوم ليس
ببعيد على من خلق السموات والارض وبدأ الخلق من العدم
فهو بعيد له ليجزى المحسن على احسانه والمسيء على اساءته
ثانيهما ان الله جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل
يعرف بها عدد السنين والحساب وجعل الليل والنهار مختلفين
يعقب كل منهما الآخر. فلو لم يكن كل ذلك سائرا الى غاية
لما كان خلقه باطلا ولم يكن له هذه الحركة معنى معقولا.
فالذين لا يرجون لقاء الله بعد هذا ما واهم النار. والذين

يؤمنون به لهم جنات تجري من تحتها الانهار . ثم ذكر ان
 هذا اليوم الذي يستبعدونه في قدرة الله ان يجعله ويسلكهم
 كما اهلك الامم القديمة حيثما كذبت رسلها ولكنه اراد
 امهال هذه الامة لينظر ما يكون منها (ثم جعلناكم خلائف
 في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون)

« ثانيها »

انه اذا تليت عليهم آيات القرآن الواردة في اثبات
 المعاد وذم آلهتهم طلبوا من النبي ان يأتيهم بقرآن غيره
 ليس فيه تخريف . ذلك اليوم . ولا ذم لتلك الالهة . فرد
 عليهم بأن هذا الكتاب ليس من عنده حتي يكون له أن
 يبدله . ولو كان من عنده ما انتظر حتي بلغ الاربعين بل أتى
 به من قبلها خوفا من الموت قبل اظهاره . على أنه يعلم أن من
 يفترى على الله نبيئاً فمهما شاء دخلق الله ظلاما ولا ينقص جرمه عن
 جرم من يكذب بآياته . فلا يمكن ان يقدم على اقتراء شيء عليه
 ثم ذكر ان تلك الالهة لا تضرهم ولا تنفعهم فلا
 يصح ان يغضبوا لدمها وقد كانوا قبلها امة واحدة على دين
 أبيهم ابراهيم . فاختلفوا عنه اليها (ولولا كلمة سبقت من

ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون

« ثالثها »

انهم قالوا لو كان من عند الله لكنت له آية عالية . وقد رد عليهم بأمر أولها انه ليس له من الامر شيء وانما ذلك لله ان شاء أنزل ما يطلبونه وان شاء لم ينزله . وثانيها ان الله يعلم انه اذا أنزل آية يكذبون بها لان عاداتهم للسكر واللجاج فاذا وقعوا في مصيبة دعوا الله مخلصين حتي اذا انجاهم منها عادوا الى بغيهم وغرورهم بالحياة الدنيا التي لا يصح لعاقل ان يغير بها . وهي ليست الا كماء نزل من السماء فاختلفت به نبات الارض حتي اذا اخذت زخرفها وظن اهلها انهم قادرون عليها أتاها امر الله فصارت كأن لم تكن بتلك الزينة وذلك الزخرف . بخلاف الآخرة فانها دار سلام وأمن لمن عمل لها ودار ذلة وعذاب لمن اغتر بالدنيا ونسيها . فهذا لك تتبرأ منهم آلهتهم ويقولون أنا كنا غافلين عن عبادتكم . هذا لك يردون الى الله مولاهم ويضل عنهم ما كانوا يفترون من آلهتهم . ثم أمرهم بمنااسبة ذكر آلهتهم أن ينظروا فيمن يرزقهم من السموات والارض ويعلم السمع والابصار

الخ ليعلموا أنها لا تملك منها شيئا . وانها لا تنفع لها في
الآخرة كما لا تنفع لها في الدنيا

فانها ان ذلك الكتاب لا يمكن ان يكون مفترى على
الله والا لامكنهم ان يأتوا بسورة مثله فهو من عند الله
حقا ولكنهم يكذبون بما لم يحيطوا بعلمه او يحيطون به
ويؤمنون باطنا ولكنهم يظهرون الكفر به عنادا .
ويقفون بأزائه موقف الصم الذين لا يسمعون . والعمى
الذين لا يبصرون . فويل لهم من يوم يحشرون فيه فينسيهم
هو له سابق معرفتهم فيتمارفون بينهم . هذا بعد ان
ينالهم في الدنيا ما وعدوا به من القتل والاسر ويقضى
بينهم بالقسط ودم لا يظلمون

فان قالوا متى يكون هذا الوعد واستعجلوه فليعلموا
ان امره مفوض الى الله وله أجل لا يمكن ان يتقدم عنه
أو يتأخر . وانه لا فائدة لهم في استعجاله لانه لا يأتي
الا بعدابهم ولا يقبل منهم أيان فيه

فان أعادوا السؤال عنه بعد هذا وقالوا أحق هو
فليعلموا انه حق بما فيه من عذاب اذا رآوه يتمنون لو ان

لهم ما في الأرض ليفتدوا به. وليس ذلك على الله بمعزىز وهو
الذى له ما في السموات والأرض فلا يكون وعده الاحقا
والكن اكثر الناس لا يعلمون (هو يحيى ويعيت واليه ترجعون)

القسم الثاني

يأيتها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما
في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين
الآيات الى آخر السورة

« ١ »

لما ردد اعتراضاتهم على القرآن شرع يرغبهم فيه بأنه
موعظة وشفاء وهدى ورحمة يحل لهم ما انزل الله لهم من
رزق جعلوا منه حراما وحلالا انتراء على الله الى غير ذلك
من وجوه فضله التي منحهم الله بها ولكن اكثرهم لا
يشكرون ولا يعلمون أن الله مطلع عليهم ولا يعزب عنه
صغير ولا كبير من أعمالهم . ثم نهى النبي أن يحزن لاقوالهم
السابقة في القرآن وضمنهم عليه بأعزازهم فأن العزة لله
جميعا لا لهم ولا لما يدعون . من دونه من زمكانهم فأن نسبوها

الى الله وقالوا انها ولد له فعزتها من عزته فليعلموا أن الله
غنى عن الاولاد التى يفترونها عليه ولا يعلمون ان الذين
يفترون عليه الكذب لا يفلحون (متاع في الدنيا ثم اليها
مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون)

« ٢ »

ثم سلك سبيل اترهيب بعد الترغيب فتلا عليهم من
قصص الاولين وما اصابهم بتكذيب رسالهم قصة نوح مع
قومه وكيف اغرقهم الله لما كذبوا به . وقصة موسى مع
فرعون وكيف اغرقه الله لما كذب به وبوأ بنى اسرائيل
مبواً صدق من بعده ورزقهم من الطيبات حتى اختلفوا
على رسالهم فأصابهم الله بما اصابهم . ثم ذكر أن هذه الامم
انما اهلكها الله لانه علم انهم لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية
فلم يشاء أمثالهم . ولو آمنوا انجيتهم كما نجى قوم يونس (لما
آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم
الى حين)

« ٣ »

. ثم رجع الى النبي وقومه فذكر له ان الايمان بمشيئة الله

لا بما يطلبونه من آيات ولو شاء لهدى اليه الناس جميعا لا
قومه فقط . وهذه السموات والارض ينظرون فيهما ما
لا يحصى من آيات الله والكن ما تنفى الايات والنذر عن
قوم لا يؤمنون فلينتظروا أن يحل بهم ما حل بالذين خلوا
من قبلهم من قوم نوح وغيرهم

ثم أمره بعد هذا أن يصرف نظره عنهم ويعبد الله
وحده ويتركهم في شرهم (فن اهتدى فأنما يهتدى لنفسه
ومن ضل فأنما يضل عليها وما انا عليكم بوكيل . واتبع ما
يوحى اليك واصبر حتي يحكم الله وهو خير الحاكمين)

سورة هود

سميت هذه السورة بذلك لذكر قصة هود فيها . وقد
جاءت بعد سورة يونس مكمله لما ذكر فيها من الكلام مع
المشركين ودفع طعنهم على القرآن . ومتممة لما ذكر فيها من
اخبار الامم التي كذبت رسلها مع زيادة بيان في القصتين
اللتين ذكرنا في سورة يونس وذكرنا هنا مفتتحا قسم
القصص بأولاهما ومختتما بأخراهما دلالة على أن القصص

هنا جاء متمما لما هنالك . وتشتمل هذه السورة على مقصدين كما تشتمل السورة السابقة

المقصد الاول

الكتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير

الآيات الى قوله تعالى

مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل

يستويان مثلاً أفلا تذكرون

« ١ »

ابتدأ هذه السورة كالتى قبلها بأثبات أن القرآن الذى يطعنون فيه قد احكمت آياته قبل أن تنزل اليهم . فلا يمكن أن يكون هناك ما يتوجه اليه طعنهم . ثم نزل بعد هذا مفردا بحسب الوقائع والاحوال على ما تقتضيه حكمة الحكيم الخبير . ولا غرض له الا هداية للناس لعبادة الله وحده ليمتثلهم . تاعا حسنا ويؤتى كل ذى فضل فضله . فإن لم ينتهوا يعذبهم فى يوم يرجعهم اليه وهو على كل شئ قدير . ويعلم ما يأتونه فى السر والعلن ولم يخلقهم الا ليعلم أنهم أحسن

عملاً . والا كان خلقه باطلا . ولكن النبي اذا قال لا وثلك
 المشر كين انكم مبعوثون من بعد الموت يقولون هذا
 سحر مبين . واذا آخر عنهم ذلك اليوم الذي اعد لعذابهم
 الى الوقت الذي عينه الله له استهزؤا به وقالوا اذا كان
 صبيحا فما يحبسه عنا . وهكذا جرت عادة الانساف اذا
 أوقعه الله في الشر بعد الخير تعالى في اليأس والكفر . وأذا
 أنعم عليه تعالى في الغفلة وظن أنه اصبح بآمن من الشر
 (الا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة
 وأجر كبير)

« ٢ »

ولما مهد بهذا أخذ يدفع ما طمنوا به على القرآن من
 أنه لو كان من عند الله لكان له دليل عليه فينزل عليه آية
 أو يجيء معه ملك وقد اجاب عن هذا بجوابين أولهما أنه
 ليس الا رسولا ولا قدرة له على ايجاد هذه الاشياء .
 ثانيهما أنه لو كان ذلك الكتاب مفتري على الله لا يمكنهم
 أن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات . وهم يعرفون أنهم لا
 يمكنهم ذلك ولكنهم آثروا الحياة الدنيا فلم يؤمنوا به ولم

يبخسهم الله فيها شيئا . أما الآخرة فليس لهم فيها الا النار
ولا يمكن ان يكونوا كالمؤمنين الذين هم على يقين من
ربهم ويؤمنون بهذا الكتاب أما احزاب المشركين
فيكفرون به وموعدهم النار يوم يمرضون على ربهم ويقول
الاشهاد من الملائكة الذين يحفظون اعمالهم هؤلاء الذين
كذبوا على ربهم الخ

أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فأولئك أصحاب الجنة فيها
خالدون (مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع
هل يستويان مثلا أفلا تذكرون)

المقصد الثاني

ولقد ارسلنا نوحا الى قومه انى لكم نذير مبين
الآيات الى آخر السورة

« ١ »

ذكر من اخبار الاوان قصة نوح مع قومه . وقصة
هود مع عاد . وقصة صالح مع ثمود . وقصة ابراهيم مع
الرسول الذين بعثوا لاهلاك قوم لوط . وقصة هؤلاء الرسل

مع لوط وقومه ، وقصة شعيب مع اهل مدين . وقصة
موسى مع فرعون وملئه

ثم ذكر أنه يقرئ أخبار تلك القرى وما جرى لها من
العذاب لتكون آية لمن يطلب أن ينزل عليه كثر أو ملك
فيما سبق فيخاف أن يعذب مثلهما في يوم يجمع له الناس
فمنهم شقي وسعيد . فأما الذين شققوا في النار لهم فيها
زفير وشهيق . . . (وأما الذين سعدوا في الجنة خالدين
فيها ما دامت السموات والارض إلا ما شاء ربك عطاء
غير محذوف)

« ٢ »

ثم ذكر أن حال هؤلاء المشركين كحال تلك القرى
يعبدون من دون الله مالا يضر ولا ينفع . وأنه لا بد أن
يصيدهم من العذاب مثل ما أصابهم . ولولا ما تقدم من حكم
الله بتأخير عذابهم حتى يؤمن من يؤمن منهم لعجل هذا
العذاب وقضى بينهم . وسواء آخر هذا العذاب أو قدم
فلا بد من يوم يجمع فيه الكل ويوفون جزاء أعمالهم (وإن
كلا لما يوفى فيهم ربك أعمالهم أنه بما يعملون خبير)

ثم أمر النبي أن يستقيم هو وأتباعه ولا يركن إلى هؤلاء المشركين لئلا يصاب معهم بمثل ما أصيبت به تلك القرى. وأشار إلى أن عدم وجود مثلهم أولى بقية يهون عن الفساد وترك الاستقامة في تلك القرى كان السبب فيما قضى الله عليهم من العذاب والهلاك. فقد جرت عادة الله أن لا يهلك القرى بالشرك وحده وإنما يهلكهم بترك الاستقامة والافساد في الأرض (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون)

ثم أخذ يصبر النبي فذكر أن الله هو الذي أراد أن يشركوأ به ولو شاء لجعل الناس أمة واحدة فيجب أن يرضى بما اراده الله وأن يكون مثل الرسل الذين يقص عليه أنباء صبرهم على أذى قومهم. بل يجب أن يقول لهم امضوا في أبدانكم واعملوا على مكانتكم وانتظروا أمر الله فيكم فإنه هو الذي يعلم متى يكون (ولله غيب السموات والأرض واليه يرجع الأمر كله فاعبدوه وتوكل عليه وما ربك بغافل

عما تاملون

سورة يوسف

ذكر في هذه السورة قصة يوسف مع ابيه واخوته
تكميلا للقصة التي ذكرت في السورتين السابقتين .
وقد افردت هذه القصة في هذه السورة اهتماما بها . ويقصد
منها ما يقصد من تلك القصص من التنويه بشأن القرآن
والاحتجاج بها على انه من عند الله لانها من الغيب الذي
ما كان يعلمه النبي وقومه الذين كانوا يجهلون انباء تلك
الشعوب جهلا تاما . ولهذا افتتحت هذه السورة

بقوله تعالى

الر تلك آيات الكتاب للبين . انا انزلناه قرآنا عربيا

لعلكم تعقلون

وهو مثل ما افتتحت به السورتان السابقتان للاشارة
الى ان المراد هنا وهناك اثبات ان القرآن الذي يطعنون
فيه من عند الله . كما ذيلت هذه القصة بقوله تعالى في

هذه السورة

(ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم
 اذا جمعوا اامرا موم بمكرون)
 وبقوله في آخر السورة

(لقد كان في قصصهم عبرة لاولى الالباب ما كان
 حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل
 شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون)

لإقامة هذه القصة دليلا على صحة تلك الدعوى التي
 افتتحت بها هذه السورة . ويمكن أن يقصد منها أيضا
 بطريق العرض ما قصد من القصص السابقة من تثبيت
 فؤاد النبي وتصديره على أذى قومه ليكون له اسوة بيوسف
 مع اخوته وفوز عليهم مثل فوزه . ولهذا لم يكذب يفرغ
 من هذه القصة ويذيلها بما سبق حتي انتقل الى النبي وقومه
 فأخبره بأن اكثرهم بعد هذا القصص العجيب سيمضي في
 كفره ولا يؤمن ولو حرص النبي على ايمانه . وسيعرض
 عن هذه القصة كما مر على آيات كثيرة في السموات والارض

وهو معرض عنها

ثم ذكر أنه يجب أن يكتفى بإرشادهم إلى السبيل الواضحة
(قل هذه سبيلي ادعوا إلى الله على بصيرة) ولا يحزن إذا
اعرضوا عنها بل يجب أن يكون كأولئك الرسل الذين
أرسلهم الله إلى تلك القرى البائدة التي لا يقتبر هؤلاء
المشركون بالنظر فيما آتاه الله أمرها . كانوا يصبرون على
أذى قومهم وينتظرون وعد الله ولو طال زمنه عليهم (لقد
كان في قصصهم عبرة لأولئك الذين لا يفترون)
والكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدي
ورحمة لقوم يؤمنون

سورة الرعد

سميت هذه السورة بذلك لذكر حديث الرعد فيها وأنه
يسبح بحمد الله . ويقصد منها ما قصد من السور الثلاثة
السابقة بأثبت الأمور ثلاثة نزل بها القرآن وطعنوا عليه
بسميها وهي التوحيد والمعاد والرسالة . ولذلك افتتحت
بما افتتحت به تلك السور مع تغيير قليل في اللفاظ

وهذه فاتحتها

للمر تلك آيات الكتاب والذي أنزل إليك من ربك الحق
ولكن أكثر الناس لا يؤمنون

وأنه لا شيء في ان ترد سورتان واكثر لفرض واحد
مع اختلاف المسالك كما يرد فصلان أو اكثر من كتاب
في غرض واحد يمثل هذا الاعتبار
وينقسم ما جاء في هذه السورة بعد فاتحتها الى ثلاثة
أقسام . أولها في اثبات التوحيد . وثانيها في اثبات المعاد
وثالثها في اثبات الرسالة

القسم الاول

الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى
على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى
يدبر الامر يفصل الايات لعلمكم ببقاء ربكم توقنون
الايات الى قوله تعالى

(وفي الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب) الآية

استدل على ان الله واحد بامور ثلاثة اولها يتعلق
 بالاجرام السماوية من رفعه السماء بغير عمد الخ . وثانيها
 يتعلق بالاجرام الارضية من بسطه الارض وانشاء الجبال
 فيها لترسوبها ولا تضطرب الخ . وثالثها ان الارض تكون
 فيها قطع متجاورات تنشأ فيها جنات من اغصاب وزرع
 ونخيل وتسقى بها ، واحد ومع هذا تكون مختلفة الطعم
 واللون والطبيعة . وليس ذلك الا بتقدير الله لا بتأثير
 الافلاك والكواكب التي يعيدها بعض المشركين لان نسبة
 تأثيرها في ذلك واحدة لا تختلف

القسم الثاني

وان تعجب فعجب قولهم انذا كنا ترابا اننا في خلق جديد
 الايات الى قوله تعالى

الله يسط الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحياة الدنيا
 وما الحياة الدنيا في الآخرة الا متاع

ذكر أنهم يستبعدون أن يبعثوا بعد ان تفتي أجسادهم

وأنهم يطلبون أن يعجل لهم هذا اليوم الذي يبعثون فيه
 ويزوقون ما أعد لهم من العذاب فيستعجلون ذلك العذاب
 ولا يستعجلون الحسنة من النصر والفوز الذي يكون لهم أن
 آمنوا ويطلبون أن لم يعجله لهم أن يأتهم بآية تدل على أنه صادق
 في إنذارهم به . وقد أجاب عن هذا بجوابين أولهما أن الله
 يعلم كل شيء يعلم ما تحمل كل أنثى وما تفيض الأرحام وما
 تزداد الخ . فإذا تفرقت أجزاء الميت فهو يعلم أين تتفرق
 ويقدر على جمعها . وثانيهما أن الله قادر على أن يعجل لهم
 ذلك العذاب ولكن أرادته قضت أن لا يغير ما بقوم حتى
 يغيروا ما بأنفسهم ولا يرجي صلاحهم . وإذا أراد الله بقوم
 سوء فمن ذا يرده أو يقدر على دفعه من آلهتهم وهو الذي
 بيده أمر البرق والرعد والصواعق ونحوها من آلات
 العذاب يصيب بها من يشاء (وم يجاولون في الله وهو
 شديد المحال)

« ٢ »

ثم معنى في بيان كمال قدرة الله وعجز آلهتهم فذكر أن
 الله هو الذي يدعي فيجيب اما آلهتهم فلا يستجيبون لهم

بشيء ممن يدعو الماء ليملغ فاه وهو جمد فلا يجيب . وأنه
يسجد له من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم
بالغدو والاصال دون آلهتهم الخ

ثم ضرب مثلا للايمان والشرك البصر والعمى والنور
والظلمة والماء والزبد الذي يطفو عليه ثم يذهب جفاء ويبقى
الماء الذي ينفع الناس في الارض . فلا يمكن ان يستوى
الايمان والشرك ولا المؤمن والكافر . فالؤمنون الذين
استجابوا الربهم اهم الحسنى وزيادة والذين لم يستجيبوا له
ينالون من العذاب ما لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله
معه لافتدوا انفسهم به الخ وانما يبسط لهم الرزق في الدنيا
لانه لا تعلق له بالايمان والكفر (الله يبسط الرزق لمن
يشاء ويقدر وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في
الآخرة الا متاع)

القسم الثالث

ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه قل ان الله
يفضل من يشاء ويهدي اليه من انا

الآيات الى آخر السورة

ذكر أنهم طلبوا أن يأتهم بمعجزة غير القرآن وقد
أجابهم عن هذا بأربعة اجوبة أولها ان الاضلال والهداية
من الله لا بالآيات التي يقترحونها . فالذين أراد الله ضلالهم
لا يؤمنون به ولو أجيبوا الى ما اقترحوا . والذين أراد الله
هدايتهم يكتبون بمعجزة القرآن وتطمئن به قلوبهم
ثانيها ان الله قد أرسله في أمة تختلف في حالها ومزاجها
عن الامم التي خلت من قبلها . فلا تناسبها الامعجزة القرآن
الذي يتلوه عليهم ليعجزهم بالفصاحة التي امتازوا بها عن غيرهم
من الامم التي أتت اليهم معجزات رسلهم من جنس ما امتازوا
به . وهذا القرآن الذي لا يرضون به لو أن قرآن سيرت به الجبال
أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى لم يكن غيره . فاذا لم
يرجعوا عن تكذيبه فان الله يسلط عليهم المؤمنين فتذهب
سراياهم الى ديارهم أو الى الديار القريبة منها فتختطف منهم
وتصيب من مواشيهم حتى يأتي وعد الله بالنصر التام فيأخذهم
كما اخذ من قبلهم ممن كانوا يستهزئون برسلهم بعد أن
أملى لهم . وأنهم بعد ذلك في الآخرة عذابا شديدا مما ينالهم

في الدنيا وللمؤمنين ما وعدهم الله من الجنة (تلك عقبي الذين
اتقوا وعقبى الكافرين النار)

ثالثها ان ذلك القرآن يعرف انه من عند الله اهل الكتاب
يفرح به من آمن منهم وينكر بعضه عنادا من لم يؤمن
منهم لان فيه من ابطال عبادة الاصنام ما لا يمكنهم ان ينكروه
ورابعها ان الله انزل حكمة عربية ظاهرة وانما ينكرونها
عنادا ويطلبون غيرها من الآيات اتباعا لاهوائهم التي لا يصح
للنبي ان يتبعهم فيها وقد ارسل الله قبله رسلا كانوا بشرا مثله
وما كانوا يأتون الا بالآيات التي يأذن بها الله لا التي يريدونها
اقوامهم . وان لا آيات العذاب التي يطلبونها احلا مكتوبا
لا تتقدم عنه وقد يأتي بعضها في حياة النبي . يأتي بعضها
بعد وفاته . وقد ظهرت علاماتها بتسليط المؤمنين على
الكافرين يأتون ارضهم فينتقمون من اطرافها وسيعلم
الكفار لمن عقبى الدار (ويقول الذين كفروا لست مرسلا
قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب) .

سورة ابراهيم

سميت هذه السورة بذلك لما فيها من ذكر ابراهيم
ويقصد منها ما قصد بالسورة السابقة من الدعوة الى الايمان
بالقرآن ولهذا افتتحت بمثل ما افتتحت به تلك السورة وتنقسم
باعتبار هذا الغرض الى ثلاثة أقسام اولها في انذارهم من
الكفر به بعذاب الآخرة . وثانيها في ذكر بعض ما جرى
للأمم السابقة بتكذيب رسالها لانذارهم به بعد انذارهم
بذلك . وثالثها في تهوين امرهم على النبي وبيان انه سيحبط
اعمالهم كما احبط أعمال من قبلهم

القسم الاول

الكتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات
الى النور
الآيات الى قوله تعالى
(وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم) الآية
ذكر وظيفة القوآن وانه لا غرض له الا هدايتهم .
وحذرهم من عذاب الآخرة التي يستحبون الدنيا عليها .

وبين لهم ان هذه كانت وظيفة كل رسول مع قومه
يبعث اليهم بمثل هذا القرآن ليهديهم « فيضل الله من يشاء
ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم »

القسم الثاني

ولقد ارسلنا موسى بآياتنا اذ اخرج قومك من الظلمات

الى النور

الآيات الى قوله تعالى

يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو

بميت ومن ورائه عذاب غليظ

ذكر لهم قصة موسى مع قومه ونبيهم الى انباء من قبلهم من قوم
نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم كانت تأتيهم رسالهم بالبينات
فيردون أيديهم في أفواههم ويكفرون بما أرسلوا به ويشكون
في وجود الله الذي يدعونهم اليه وهو فاطر السموات والارض
ويقولون لهم انتم بشر مثلنا فلم تمتازوا بالرسالة علينا . ثم
أذوهم وحاولوا إخراجهم من أرضهم فاهلكهم الله واسكن
رسله الارض من بعدهم . وهكذا يخيب كل جبار عنيد (من
ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه) الآية

القسم الثالث

مثل الذين كفروا بربههم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح
في يوم عاصف لا يقدرّون مما كسبوا على شيء
الآيات الى آخر السورة

(١)

لما فرغ مما تقدم شرع يهون عليه أمر قومه ويبين
أن الله سيحبط أعمالهم كما أحبط أعمال من قبلهم وينصره عليهم
ثم بين له أن الذي خلق السموات والارض قادر على هذا
بأن يشأ يذهبهم ويأت بخلق جديد ثم يبعثهم اليه فيقول
ضعفائهم للذين استكبروا هل انتم ممنون عنا من عذاب
الله من شيء وقد كنا لكم تبعاً فيعتذرون اليهم بأن الله لم
يشأ هدايتهم ولو شاء لاهتدوا وهدوهم أما الشيطان الذي
أضلهم فيقول لهم لا تلوموني ولوموا انفسكم ما أنا بمغيثكم من
عذاب الله وما انتم بمغيثي اني كفرت بما أشركتموني من قبل
ان الظالمين لهم عذاب أليم (وادخل الذين امنوا وعملوا
الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها بأذن
ربهم يحيطون فيها سلام)

(٢)

ثم ضرب مثلاً للمؤمنين وثبات امرهم وللكافرين
وحبوط اعمالهم فجعل المؤمنين كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها
في السماء فلا يخشى عليها من شيء . وجعل الكافرين كشجرة
خيثة اجتثت من فوق الارض ليس اصل ولا عرق وما لها
من قرار (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة
الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء)

(٣)

ثم بين أنهم يستحقون ذلك لانهم بدلوا نعمة الله
كفراً . فقد أسكنهم الله مكة التي دعاها ابراهيم بالامن وسعة
الرزق وأن يجنبها عبادة الاصنام فعبدوها وجعلوا لله أنداداً
ليضلوا عن سبيله فليقتلوا فان مصيرهم الى النار . وليقيم المؤمنون
بالصلاة لله وينفقوا مما رزقهم الله الذي خلق السموات
والارض . . . « وآتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة
الله لا تحصوها ان الانسان لظلم كفار »

(٤)

ثم ذكر دعاء ابراهيم لاهل هذا البلد تفصيلاً بعد

الإشارة السابقة إليه وختمه بقوله « ربنا اغفر لي ولوالدي
وللمؤمنين يوم يقوم الحساب »

(٥)

ثم بين للنبي أن الله ليس بغافل عما يعمل أولئك
المشركون وإنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه أبصارهم ألخ فيجزئهم
الله بما كسبوا أن الله سريع الحساب « هذبلأغ للناس ولينذروا
به وليعلموا أنما هو آله واحد وليذكر أولو الألباب »

سورة الحجر

سميت هذه السورة بذلك لذكر قصة أصحاب الحجر
فيها . والغرض منها التنويه بشأن القرآن أيضا . وينقسم
ما جاء فيها إلى مقصدين وخاتمة . فالمرصد الأول في التنويه
بشأن القرآن وتخويفهم من التكذيب به وتصوير النبي على
استهزائهم به كما صبر غيره من الرسل على استهزاء شيع الأولين
بهم . والمقصود الثاني في بيان أخبار تلك الشيع وما جرى لهم
بسبب تكذيب رسلهم . والخاتمة في أن ما حصل لتلك الشيع
سيحصل مثله لأولئك المشركين .

(المقصد الاول)

لم تترك آيات الكتاب وقرآن مبين

الآيات الى قوله تعالى

لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين

(١)

ذكر ان القرآن الذي انزل اليهم من البهيمان بحيث
لا ينكره الا جاحد وانه سيأتي يوم يودون فيه لو كانوا قد
آمنوا به . ثم أمر النبي ان يتركهم باكلون ويتمتعون ويلهبون عمار
قد رلهم في كتاب معلوم (ما تسبق من أمة أجملها وما يستأخرون)

(٢)

ثم ذكر أنهم استهزؤا بالنبي حين أنذرهم بهذا ورموه بالجنون
وطلبوا منه أن يأتيهم بالملائكة دليلا على صدقه . فاجابهم بأن ذلك
لا يكون الا عند حصول الفائدة وقد علم الله أنهم لا يؤمنون
اذا أنزلوا . ثم أشار إلى أن تلك السفاهة عادت من قديم إذ
لم يرسل رسولا في شيع الاولين الا كانوا يستهزئون .
وكذلك اراد الله ان يسلك هذا القرآن في قلوب هؤلاء
المشركين مقرونا بالاستهزاء فلا يؤمنون به ولو فتح الله

عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون « لقالو أنما سكرت
أبصارنا بل نحن قوم مسحورون)

« ٣ »

ثم ارشدهم الى ماهو اهدى من انزال الملائكة من
خلق البروج في السماء وتزيينها للناظرين ومن بسط الارض
وانبات كل شئ موزون فيها ومن خلق الانسان من
صلصال من حمأ مسنون وخلق الجن قبله من نار السموم .
ثم ذكر كيف خلق الانسان « آدم » من صلصال تفصيلا
لذلك الاجمال . وكيف امر الملائكة بالسجود له فسجدوا إلا
أبليس أبى أن يكون من الساجدين . وكيف سلطه الله على
من اتبعه من الغاوين الذين أعد لهم جهنم وجعل لها سبعة
ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم . أما المتقون ففي جنات
وعيون « لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين »

المقصد الثاني

نبي عبادى أنى انا الغفور الرحيم
الآيات إلى قوله تعالى

فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون

ذكر في هذا تفصيل ما أجله سابقا من اخبار شيع
الاولين بعد تمهيد ذكر فيه انه الغفور الرحيم وان عذابه هو
العذاب الاليم ليعلم ان ما صاب تلك الشيع من العذاب لا قسوة
فيه لان الله كما انه غفور رحيم ذو عذاب اليم . فهو رحيم
بعباده المؤمنين . وذو انتقام شديد على الكافرين . فشرح قصة
رسل الله مع ابراهيم وقد بعثهم الله لاهلاك قوم لوط
الخ . وقصة اصحاب الالبكة مع نبيهم شعيب . وقصة اصحاب
الطجر مع نبيهم صالح وقد كذبوا به فاخذتهم الصيحة مصبحين
(فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون)

الخاتمة

وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وان
الساعة لا تية فاصفح الصفح الجميل
الايات الى آخر السورة

ذكر ان اليوم الذي انذرهم به فاستهزؤا لا بد من
اتيانه لانه لم يخلق السموات والارض الا بالحق وبدونه
يكون خلفها باطلا . ثم امر النبي ان يصفح عنهم بعد هذا
ولا ينظر الى ما تمتعوا به في الحياة بعد ان اعطاه خيرا من

ذلك سبعا من المثاني والقرآن العظيم . وان ينفذهم عذرا
كالذي انزله على المقتسمين الذين اقتسموا القرآن فجعلوا بعضه
سحرا وبعضه شعرا كالوليد بن المغيرة وغيره . وان لا يضيّق
صدره بهم بل يجب ان يحمده الله ويكون من الساجدين
(واعبد ربك حتى يأتيك اليقين)

سورة النحل

سميت هذه السورة بذلك لذكر بعض أحوال النحل
فيها . ويراد منها اثبات الاصول الثلاثة « التوحيد والنبوة
والمعاد »

وقد افتتحت هذه السورة بآيتين تضمنتا هذه الاصول
الثلاثة كتمهيد لما ذكر بعدهما في اثباتها ومجادلة المنكرين لها
واختتمت بالاشارة إلى أن ما جاء به النبي في ذلك هو دين
ابراهيم الذي هو بمنزلة الاصل لغيره من الاديان . وتعليم
النبي آداب الدعوة والمجادلة التي ذكر بعضها في هذه السورة
وبهذا ينقسم ما جاء فيها الى تمهيد ومقصد وخاتمة يعنى في كل
منها بما أشرنا اليه

التمهيد

أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون
«الآيتين»

تضمنت هاتان الآيتان ثلاث قضايا بمقدار تلك
الاصول الثلاثة . اولها ان يوم القيامة أصبح قريبا وأمره
بيد الله فلا يصح لاحد استعجاله لانه لا شريك له في افعاله
الثانية أن النبوة حق والله ينزل الملائكة بالروح على من
يشاء من عباده . والثالثة أن الله لا اله غيره

المقصد

خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون
الآيات الى قوله تعالى

ثم ان ربك للذين عموا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد
ذلك وأصلحوا أن ربك من بعدها لغفور رحيم

«١»

ابتدأ بذكر ادلة التوحيد في خلق السموات والارض
وفي خلق الانسان من نطفة وفي خلق الانعام للبشر وفيها
حرف لهم ومنافع كثيرة . وفي خلق الخيل والبغال والحمير

ليركبوها وتكون لهم زينة . ثم اشار الى ان ذكر تلك الادلة
يراد به قطع عذرهم والا فالهداية الى الطريق القويم من الله
ونو شاء لهداهم اجمعين . واستأنف بعد هذا سرد تلك الادلة
فذكر انزال الماء من السماء للشرب وسقي الشجر والزرع الى
غير ذلك مما تفرد بخلقه ولا يصح معه ان يكون مثله في
الالوهة من لا يخلق من اصنامهم . والله مع هذا يعلم باطن
الانسان وظاهره وهي لاتعلم شيئاً بل هي مخلوقة له وجماد
لا يشعربشيء . فالله واحد لا اله غيره وانما اصرأولئك الكفار
على الشرك لانهم لا يؤمنون بالآخرة وينكرونها كل ما
يخالف اهوراهم ويستكبرون ان يرجعوا الى قول غيرهم « لا جرم
ان الله يعلم مايسرون وما يعلنون انه لا يحب المستكبرين »

٢

ثم ذكر من شبهاتهم على النبوة طعنهم على ما نزل على
النبي بأنه من اساطير الاولين ولم يجب عن هذه الشبهة هنا
لانه اجاب عنها في سورة اخرى بل اقتصر على تهديدهم على
ذلك بأنهم يحنون على انفسهم به ويحملونها من الاوزار مانتوء
به ثم لا يكون الا ان الله يعذبهم عليها في الدنيا ويخزيهم يوم

القيامة . اما الذين قالوا فيما انزل الله خيرا فلهم في الدنيا حسنة
وفي الآخرة حسنة . فلا ينتظر أولئك المشركون أن تأتيهم الملائكة
بذلك المذاب أو يأتي أمر الله به كذلك فمل الذين من قبلهم
« فأصـابهم سيئات ما عملوا وحق بهم ما كانوا به يستهزئون »

(٣)

ثم ذكر شبهة ثانية وهي أنهم قالوا ان الايمان الذي يدعو اليه
والكفر الذي ينهى عنه بمشيئة الله ولا معنى مع هذا لارسال
نبي . وقد اجاب عنها بأن وظيفة النبي التبليغ والارشاد آمن
من يباغهم أو لم يؤمنوا . وقد بعثه الله الى هذه الامة كما بعث
في كل أمة رسولا لارشادها فمنهم من اراد الله هدايته فاهتدى
ومنهم من حقت عليه الضلالة فلم يمكن أن يهتدى (ان تحرص
على هدايتهم فان الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين)

(٤)

ثم ذكر أنكارهم للمعاد وشبهتهم فيه أنه لا يمكن بعث
الشخص بعد موته وتفرق أحزائه . وقد اجاب عن هذا
بجوابين أولهما أن البعث لا بد منه ليتبين الحق من الباطل
ويعلم الكافرون أنهم كانوا كاذبين . وثانيهما أن الله قادر على كل

شيء يقول للشيء كن فيكون . ثم ذكر جزاء المؤمنين بعد الكافرين وأن لهم في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة اكبر منها . فهم «الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون»

« ٥ »

ثم استأنف الكلام في النبوة فذكر شبهة اخرى وهي انهم قالوا ان الله لا يبعث رسولا من البشر . وقد أجاب عنها بأن الله لم يبعث قبل النبي الارجال المؤمنين بالبينات والزبر ثم هددهم على هذا المكرو والكيد بأموار أربعة ان يخسف بهم الارض ألخ ألخ... ولفقت نظرهم الى قدرة الله على ذلك بخضوع كل شيء له في السموات والارض (من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون) الرد على الثنوية

(١)

ثم استأنف الكلام في التوحيد والرد على الثنوية وعباد الملائكة بمد أن رد فيما سبق على عباد الاصنام فهي الاولين ان يتخذوا الهين اثنين اله الخير واله الشر لان كل شيء في السموات والارض لله فما بهم من نعمة فمنه وما يصيبهم من

شر لا يتوجهون في كشفه إلى غيره . وذم عباد الملائكة وتماثيلها
على إطلاقهم لها البجائر والسوائب وجعلها بنات لله في حين
أنهم يكرهون البنات لأنفسهم (والله المثل الأعلى وهو
العزیز الحكيم)

« ٢ »

ثم بين أن هذا ظلم وفسمة ضيزى أن يجعلوا الله ما يكرهون
من البنات . وتصف الستتهم الكذب أن لهم الحسنى من
البنين . وإن الله لم يشأ أن يؤاخذهم عليه في الدنيا وإنما أجل
ذلك إلى الآخرة . وإن مثل هذا الجهل حصل من أسلافهم
قديما مع رسالهم إذ بعثهم الله إليهم فتولوا عنهم وزين لهم الشيطان
أعمالهم « فهو وليهم اليوم ولهم عذاب اليم . وما أنزلنا عليك
الكتاب إلا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة
لقوم يؤمنون)

(٣)

ثم ذكر دلائل التوحيد ردا على الفريقين من أنزال الماء
من السماء لأحياء الأرض بعد موتها : ومن خاف الانعام ليستقيهم
من البانها إلى غير ذلك مما من الله به على عباده من النعم التي

يكفرون بها . وبعبدون من دون الله مالا يملك شيئا منها
 مما يجعلونه مثيلا لله الذى يتنزه عن الامثال . فهل يكون
 من لا يملك شيئا كمن يملك رزقا حسنا ينفق منه سرا وجهرا .
 وهل يكون الا بكم الذى لا يقدر على شىء واينما يتوجه
 لا يأتى بخير كمن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم . وكيف
 يكون له مثيل من آلهتهم وهو الذى يعلم غيب السموات
 والارض ومنه الساعة التى أصبح أمرها كلمح البصر . وهو
 الذى أخرجنا من بطون امهاتنا لانعام شيئا الخ لى فاذا كفروا
 به بعد هذا فقد جنوا على انفسهم اذ يعرفون نعمة الله ثم
 ينكرونها ويكفرون بها فليمتظروا يوم نبعث من كل امة
 شهيدا عليهم ثم لا يؤذن للكافرين فى الكلام ولا يسترضون ...
 يوم نبعث من كل امة شهيدا عليهم من انبيائهم ويحاج بالنبى
 شهيدا على امته وقد قطع عذرهم ونزل عليه الكتاب (تبيانا
 لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين)

(٤)

ثم فصل هذا الاجمال وبين كيف كان تبيانا لكل شىء
 فذكر انه امر بالعدل ويندرج فيه كل الفروض . وبالا حسان

ويندرج فيه كل النوافل ومنها صلة الرحم : وانه نهى عن
 الفحشاء وهو مقتضى القوة الشهوانية. وعن المنكر وهو مقتضى
 القوة الغضبية : وعن البغى وهو مقتضى القوة الوهمية . فكان
 بهذا جامعا لما يتصل بالتكليف فرضا ونفلا وما يتصل بالاخلاق
 عموما وخصوصا . ثم امر بالوفاء بالعهد وهو اصل عظيم يندرج
 تحته كثير من الفروع . والعهد اما ان يكون بين الله والناس او
 بين الافراد بعضهم مع بعض او بين أمة واخرى فلا يصح لامة
 قوية ان تنقض عهد امة ضعيفة لانها تخالفها في دين او غيره
 فان هذا الخلاف بأرادة الله ولو شاء لجعل الناس أمة واحدة
 ثم نهاهم أن يعقدوا الايمان على عزم نقضها فتكون على دخل
 وان يشتروا بها ثمنا قليلا لا يساوى ما عند الله لمن يفي بعهده
 ووعد الذين يصبرون على عهودهم ان يجزيهم اجرهم بأحسن
 ما كانوا يعملون (من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن
 فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون)

(٥)

ثم انتقل من هذا التفخيم للقرآن الكريم الى دفع
 ما عندهم من شبهات يلقيها الشيطان في قلوبهم اذا نظر واقعهم ومهد

لهذا فأمر قارئه ان يستعيد بالله من الشيطان لثلاثي لاه
كما يتولى اولئك المشركين فيحول بينه وبين الايمان به
بمثل هاتين الشبهتين. واولاهما انهم اذا رأوا آية تنسخ بأخرى
قالوا هذا من عند النبي جهلا بحكمة النسخ. وقد أجاب عن هذا
بأن النسخ له حكمة يعلمها الله ولا يكون الا لمصلحة الناس
الثانية ان بعض المرتدين قالوا ان الذي يعلمه هذا القرآن
سلطان الفارسي. وقد أجاب عن هذا بأنه اعجبي لا يمكن
ان يأتي بهذا القرآن العربي. ولكن من لا يؤمن بآيات الله
لا يهديه الله وله عذاب اليم. وهو الذي يكذب على الله لا
من يؤمن به. وهو الذي كفر بعد ايمانه فالكذب ليس يبعيد
عليه. وقد استثنى من هذا من اكره على الكفر وقلبه مطمئن
بالايمان فليس هذا من شأنه الكذب. اما من شرح بالكفر
صدرا فعليه غضب من الله وهو في الآخرة من الخاسرين. وهذا
بخلاف الذين هاجروا من بعد ما اكرهوا على الكفر فان الله
يغفر لهم (يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفي كل
نفس ما عملت وهم لا يظلمون)

(٦)

ثم ضرب الله لتأييد استحقاقهم ذلك العذاب مثالا قريية
كانت آمنة مطمئنة يأتونها رزقها من كل مكان فقابلت ذلك
بالكفر فاذاقها الله إلهاس الجوع والخوف . وبعث فيها رسولا
من أهلها فكذبوه فاخذهم العذاب بما كانوا يظلمون . وهذا
الوصف ينطبق على مكة وأهلها . ولذلك أمرهم أن يتركوا
ذلك الكفر ويقابلوا ما أنعم الله على قريتهم بالشكر فياكلوا
مما رزقهم الله حلالا طيبا ما لم يكن ميتة أو دما أو نحوهما .
ولا يقولوا هذا حلال وهذا حرام كذباً على الله فهو لم يحزم
من ذلك شيئاً الا على اليهود جزاء بغيتهم (ثم ان ربك للذين
عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا أن ربك
من بعد ما لغفور رحيم)

الخاتمة

أن ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفاً ولم يك من المشركين
الآيات إلى آخر السورة

ثم ذكر أن ذلك الشرك وجهد النعم لم يكن دين ابيهم
ابراهيم وأن الله لم يرسل اليهم هذا النبي الا ليرجع بهم الى

حلمته ومنها تعظيم يوم الجمعة لأن يوم السبت لم يشرع إلا
للـيهود ومع هذا نقضوا عهد الله واحلوا الصيد فيه . ثم أمر
النبي أن يجادلهم بالحسنى وان لا يشتمد عليهم اذا ظفر بهم
ويصبر على اذامهم ولا يكن في ضيق مما يمكرون « ان الله مع
الذين اتقوا والذين هم محسنون »

سورة الاسراء

سميت هذه السورة بذلك لابتدائها بذكر قصة الاسراء . وهي
واردة ايضا في بعض الغرض الذي سيمقت له السورة السابقة
مع تصرف في المعاني والالفاظ . وتتنن في سوق الادلة ودفع
الشبه . وقد جاء أولها في دعوتهم الى الايمان بالنبي . وآخرها
في دفع بعض ما عندهم من شبه في نبوته أو فيما جاء به . وبهذا
تنقسم هذه السورة الى قسمين

القسم الاول

سبحان الذي اسرى بعبد له ليلا من المسجد الحرام

الايات الى قوله تعالى

تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وأن

من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان
حليماً غفوراً

(١)

ذكر في دعوتهم الى الايمان بالنبي امرين اولهما انه اسرى
به ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى واخبرهم في
النهار بما شاهد فيه وهذه معجزة من جنس المعجزات التي
يطلبونها ثم ذكر فضل المسجد الاقصى وانه بارك حوله
واتى موسى التوراة فاهتدوا بها واستقام لهم الامر حتى ضلوا
فسلط الله عليهم قوماً اولى بأس شديد جاسوا خلال ديارهم
وخرّبوا ذلك المسجد . ثم سلطهم عليهم ثانياً ليسوّوا وجوههم
ويدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما عملوا فتيهراً
(نسي ربكم ان يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين
حصيراً)

(٢)

فيهما انه جاء بالقرآن الذي يهدي للتي هي اقرب مما يهدي اليه
التوراة . ومع هذا يدعون ان يعطى الله عليهم حجارة من السماء
او غير ذلك من آيات العذاب والشز وعندهم آية الليل والنهار

تفنيهم عن تلك الايات وقد فصل الله كل شئ يحتاجون اليه
 في معرفة الحق تفصيلا لا عذر لهم معه . فكل انه ان
 مسؤول عن اعماله ولا تزر وازرة وزر أخرى . وما كان الله
 ليعذبهم بما يطلبونه حتى يثبت اليهم رسولا ويكثر وامن
 الفسق والفجور فيدمرهم نسيرا . فأن الله يتمتع للكافر اذا اراد
 العجلة حتى يكثر فسقه : ومن اراد الآخرة وسعى لها سكر
 له سعيه . فيمد كلا منهما بما يريد وما كان عطاء الله محظورا
 (أنظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة اكبر درجات
 واكبر تفضيلا)

(٣)

ثم فصل ذلك الاجمال المذكور في قوله ان هذا القرآن
 يهدي للتي هي اقوم . فذكر من الاحكام التي جاء بها التوحيد
 وتحريم عبادة الاصنام . والاحسان الى الوالدين والاقرباء
 والمسكين وابن السبيل في غير تبذير ولا تقتير . وتحريم قتل
 الاولاد خشية الفقر وتحريم الزنا والقتل والاسراف في القصاص
 واكل مال اليتيم . ووجوب الوفاء بالعهد الى غير ذلك مما اوحى
 الى النبي من الحكمة . ومنه تحريم اتخاذ آخرة من الله من

الملائكة التي يقولون عنها انها باتت لله وابطلت باذنها في السورة
السابقة وانما اعيد ذلك هنا لان القرآن من سنته تصريف
البيان للناس ليتعظوا ويتذكروا . ولو كان مع الله الهة من
تلك الملائكة لتنازعوا معه مع ان كل شيء خاضع له من السموات
والسبع والارض ومن فيهن (وان من شيء الا يسبح بحمده
ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حلما غفورا)

القسم الثاني

واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون

بالآخرة حجابا مستورا

الايات الى آخر السورة

قلنا ان القسم الثاني في دفع الشبه وقد مهد لذلك ببيان

سببها وهو عدم فهمهم للقرآن ونفورهم من التوحيد . واتباع

الذي الذي كانوا يزعمون انه مسحور اختلط عليه عقله بعد

ان زعموا انه ساحر . ضربوا له الامثال فضلوا فلم يمكنهم ان

يهتدوا الى سبيل في امره . ثم ذكر شبهتين اولاهما فيما جاء به من

البعث . وقد اجاب عنها بما اجاب ثم امر ان لا يقابل هؤلاء

المشركون على تلك الاسماء من رضى النبي بالهجر وتكذيبهم

له في البعث بمثلها بل يقولوا التي هي احسن ربكم اعلم بكم ان يشأ
 ربكم وان يشأ يمدكم . فاذا اراد عذابهم فاذ الهتهم لا يستطيعون
 ان يكشفوا عنهم لانهم يرجون رحمة الله ويخافون عذابه مثلهم .
 وان عذاب الله حقيق بأن يحذره كل أحد وما من قرية كافرة
 الا يصيبها قبل يوم القيامة شئ مما منه (كان ذلك في الكتاب
 مسطورا)

والثانية في رسالته وان ايس له معجزات كغيره من
 الانبياء . وقد اجاب عنها بأن الله لم ير له بملك الآيات لانه
 علم انهم يكذبون بها كما كذب بها الاولون الخ وكما كذبه
 حين اخبرهم بمصارعهم يوم بدر فصرعوا وحين اسرى به
 ورآى من آيات ربه ما رآى فلم يؤمنوا وجعل الله هذه الرؤيا
 فتنة لهم كما فتنوا بشجرة الزقوم أيضا فقالوا كيف تحرق جهنم
 الحجر ويكون فيها شجر . وأيضا قدرأى ابليس من آيات
 ربه ما رآى ومع ذلك امره بالسجود لآدم فعمى حسدا له .
 وهؤلاء المشركون يحسدون النبي فلا يمكن ان تؤثر فيهم
 تلك الآيات

ثم ذكر ما يدل على قدرة الله على ارسال تلك الآيات

وأهلاكم بها من البحار التي خلقها لهم ولا يستغنون عن سير
السفن فيها فهو بقدر ان يغرقهم فيها ولا يجدون غيره ينجهم
من الغرق الخ ولكنه لم يرد ذلك رافة بهم بل كرههم وحملهم
في البر والبحر آمنين وفضاهم على كثير من خلقه في الدنيا
ويوم القيامة يدعو الله كل أناس مع نبيهم (فمن أوتي
كتابا يمينيه فأولئك يقرأون كتابهم ولا يظالمون شيئا. ومن
كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل - بيلا)

ثم ذكر انهم كادوا يستفزون بالتغيب الى طلب تلك
الآيات عن القرآن الذي هو معجزته افتري على الله شيئا
غيره يؤمنون به لولا ان ثبت الله كما تبت على ما استعملوه معه
من الترهيب وقد كادوا يخرجونه من مكة لولا ان منهم الله من
أخراجه حتى أمره بالخروج. ولما خرجهم أخرجه لاهلكهم الله كما
أهلك من قبلهم حينما أخرجوا رسلهم من ديارهم (سنة من قد
أرسلنا قبلك من رسلنا ولا نجد لسننتنا تحويلا)

ثم أمره ان لا يلتفت اليهم ويشغل بعبادة الله من الصلاة
والتوجه الى الله بالدعاء ليدخله اذا خرج من مكة مدخل صدق
ويخرجه مخرج صدق ويحمل له من عنده سلطانا نصيرا (وقل

جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا)
ثم ذكر من فضل القرآن ما لا يصح معه ان يعدل عنه
إلى تلك الايات . فهو شفاء للناس ورحمة للمؤمنين ونعمة
عظيمة ولكن هؤلاء المشركين يجدون فضلا كما يجدون
فضل النعمة اذا كانوا فيها . فإذا زالت عنهم يسوا من
رجوعها اليهم . وكل من المؤمنين والمشركين يعمل على
شاكلته ويفهم في هذا القرآن ما تسول له نفسه (فربكم اعلم
بمن هو اهدى سبيلا)

ثم ذكر انهم سألوه عن ذلك القرآن (الروح) ما هو
أشعر أم كهانة استغاثوا له فحاشهم بأمرين اولهما انه من الله
وما اتوا به من العلم الذي استعظمه لا قليلا بجانب ما لم
ينزل اليهم . ومع هذا فلو شاء الله لذهب به ورد اليه تلك
النعمة التي لم يعرفوا فضلها ولم يؤمنوا بها
ثانيهما انه لو كان شعرا او كهانة لامتكنهم ان يأتوا بمثله
مع انه لو اجتمع الانس والجن على ذلك لعجزوا عنه « ولو
كان بعضهم لبعض ظهيرا »
ثم ذكر ان الله لم يترك شيئا يمكن ان يهتدوا به إلى

الايان بذلك القرآن الا أتى به . ولكنهم اوا الا كفورا
وطلبوا غيره ان يفجر لهم من الارض ينبوعا او يكون له
له جنة من نخيل وعنب أو يسقط السماء عليهم قطعا الخ الخ .
وقد اجاب عن ذلك بثلاثة اجوبة . أولها انه ليس الا بشرا
رسولا لا يمكنه ان يأتي بها من نفسه ولا ان يحكم بها على
ربه . وأنهم ينكرون أن يبعث الله بشرا رسولا مع انهم
ليسوا ملائكة فيجب ان يكون رسولهم منهم . ومع ان الله
قد شهد له بالرسالة بما انزله اليه من الآيات التي هدى اليها
من اراد هدايته فكان من المهتدين . ومن أضله عنها فلا هادي
له من دونه في الحياة ويوم القيامة مأواه جهنم كلما خبت
زيدت سعيها ذلك جزؤه بأنه كفر بتلك الآيات وانكر
ان يبعث بعد ان يصير عظاما خلقا جديدا الخ
ثانيها ان الله يعلم انه لو اعطاهم تلك الاشياء من
الانهار والعيون فكثرت بها امور الهيم لبخلوا بها . فلا فائدة
في اجابتهم اليها
ثالثها ان الله اعطى موسى مثل تلك الآيات فلم يؤمن
بها فرعون فأغرقه ومن معه جميعا

ثم ذكر من فضل القرآن : انما اذكر وانهم ان يؤمنوا به او لا
يؤمنوا فقد شهد بفضله من هو افضل منهم من الذين اتوا
المعلم من قبله . وانهم ان يدعوا الله او الرحمن او يسبحوه كلما
سمعوا المسامين يذكرونه في صلاتهم^(١) فله الصفات الحسنى لا
غيرها مما يسبونه به (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له
شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدل وكبره تكبرا)

سورة الكهف

سميت هذه السورة بذلك لذكر قصة أصحاب الكهف
فيها . ويراد منها اظهار فضل القرآن الذي شغل الكلام فيه
قسما عظيما من السورة السابقة ولكن بنوع آخر من البيان
فقد كان يعنى هناك باظهار فضل القرآن من حيث انه يهدي
التي هي اقوم ويشتمل على تلك الاحكام التي مرت الخ
اما هنا فيعنى باظهار فضله بذلك القصص المعجبية التي
ذكرت في هذه السورة . والتي - أله عنها كفار قريش بأيعاز

(١) هذا هو السبب في ذكر قوله ولا تجهر بصلاتك بعد
قوله فله الامماء الحسنى

اليهود امتحانا لنبوته . فنزل بها القرآن تصديقا له
ولما كان ذلك هو الغرض من هذه السورة افتتحت
بالتنويه بشأن القرآن كما اختتمت بالتنويه بشأنه . وتشتمل
السورة باعتبار هذا على مقدمة وخاتمة ومقصد ذكرت فيه قصتان
هما قصة أصحاب الكهف وقصة ذى القرنين

المقدمة

الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا
الآيات الى قوله تعالى

وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا

ذكر أنه هو الذى أنزل القرآن على النبي كاملا في ذاته
لا عوج فيه لينذر الكافرين عامة عذابا شديدا . ويبشر
المؤمنين عامة بأن لهم أجرا حسنا . وينذر بخاصة الذين قالوا
اتخذ الله ولدا . فاذا لم يكفهم هذا القرآن في الايمان به
بل طلبوا منه تلك القصص امتحانا له فلا يليق به ان يحزن
لعدم ايمانهم وان كانوا أصحاب القوة والثروة . فانما هي زينة
وذخارف لا يليق به الا أن يرفضها كما رفضها أصحاب
الكهف من قبله . وقد جعلها الله ليبلى العباد أيشكروها أم

يكفروها ثم يذهب بها» وانا لجالعون ما عليها صعيد جرزا»

القصة الاولى

أم حسبت ان اصحاب الكهف الرقيم كانوا من آياتنا
عجبا

الآيات الى قوله تعالى

خالدين فيها لا يبعثون عنها حولا

(١)

ذكر اجمالا كيف آووا الى الكهف ومكثوا سنين عددا
الى ان بعثهم الله ثم فصل ذلك الاجمال فذكر انهم فتية آمنوا
بربهم قاموا بين يدي ملكهم فلو انوار بنار السموات والارض
ثم اعتزلوا قومهم الى الكهف هربا منهم فضرب الله على آذانهم
تلك السنين ثم بعثهم من نومهم وعشر عليهم قومهم فلما اماتهم الله
تنازعوا فيهم قال (الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا)

(٢)

ثم ذكر ان الذين سألوه عن تلك القصة سيذكرون له
فيهم امرين لا علم لهم بهما ولهما في عددهم الذي تنازعوا فيهم
فقر بعضهم انهم ثلاثة راى بعضهم كلهم الح. وقد أمر النبي أن

يحببهم عن هذا بأن الله اعلم بمدد ما يملأهم الا قليل . ونهى
أن يزيد عن هذا في جدالهم وأن يستفتيهم فيه وإن يقدم على شيء
من هذا أو غيره حتى يأذنه الله فيه ليكون على علم به فلا
يرجم بالغيب كما يرحم هؤلاء في تعيين ذلك العدد . وعسى
الله أن يهديه لأقرب من اقوالهم فيه . رشدا

ثانيهما في مدة لبثهم في الكهف اذ قال بعضهم انهم لبثوا
فيه ثمانمائة سنة وزاد بعضهم تسعا عليها وقال بعضهم غير ذلك
والله اعلم بما لبثوا « له غيب السموات والارض أبصر به
واسمع ما لهم من دونه من ولى ولا يشرك في حكمه احدا »

(٣)

ثم أمر النبي ان يتلو هذه القصة ليتدبرها ويكون
كأصحاب الكهف فلا يحزن اذا لم يصدقه اغنياء قومه ويرضى
بفقرائهم الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ولا يطيع فيهم
هؤلاء الاغنياء الذين لا يذكر الله ولا يهتدون به فمن شاء
فليؤمن ومن شاء فليكفر ان الله عادل للكافرن نارا احاط بهم
سرادقها والمؤمنين جنات عدن تجري من تحتها الانهار نعم
الثواب وحسنت مرتفقا . ثم أمر ان يضرب لهم امثالا اربعة

توضح لهم ان الافتخار لا يصح ان يكون بكثرة الاموال
بل بطاعة الله وعبادته . وان الواجب ان يتواضع الغنى للفقير
والكبير للصغير ولا يتكبر عليه

واولها

مثل رجلين جعل الله لهما جنتين من اعناب واحاطتهما
بخيل وجعل بينهما زرعاً . فاقتخر بهما على صاحبه وقال له انا
اكثر منك مالا واوز نفراً . وظن ان جنتيه لن تبيدا وان
الساعة لا تقوم . فقال له صاحبه اكفرت بالذي خالقك ولم تشكره
على ما اعطاك من جنتيك اللتين عسى ربى ان يؤتىنى خيراً منهما
ويرسل عليهما صواعق من السماء فتصبحا ارضا ملساء او
يصبح ماؤهما غائراً فلن تستطيع له طلباً . وقد حقق الله ما قدره
فاهلك جنتيه فأصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها ويقول
يا ليتنى لم اشرك بربى احداً . ولم يجد من ينصره من دونه فى
نكباته وشدته . وهكذا فى كل النكبات تكون الولاية لله
الحق « هو خير ثواباً وخير عقبا »

ثانيها

مثل الحياة الدنيا كما انزله الله من السماء فمما به النباتات حتى
اختلط بعضه ببعض ولم يلبث ان جف حتى تكسر النبات
واصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا
فالحياة الدنيا سريعة الزوال والمال والبنون منها فهي سريعة
الزوال مثلها . والاعمال الصالحة خير عند الله منها وفي يوم
القيامة اذ يحشر الناس كما خلقوا اول مرة لامال ولا ولد ولا
يجدون امامهم الا كتاب اعمالهم لا يغادر صغيرة ولا كبيرة
الا احصاها » ولا يظلم ربك احداً «

ثالثها

مثل ابليس مع آدم اذ تكبر عليه وافتخر بأمله وعصى
امر ربه فلا يليق ان يقتدوا به في ذلك ويتخذوه وذريته
اولياء من دون الله الذي خلق السموات والارض ويوم
القيامة يدعونهم فلا يستجيبون لهم ثم يرون النار فيظنون
انهم واقعون فيها ولا يجدون عنها مصرفا . كيف يجدونه وقد
حرف الله لهم في القرآن كل مثل ليؤمنوا فابوا الا النفاق
وطلبوا غير هذا ليؤمنوا ان تأتيهم سنة الاولين او يأتيهم

العذاب عياناً. مع ان الرسل لم يبشروا الا مبشرين ومنذرين وانما
يجادل هؤلاء الشركون بالباطل ليدحضوا الحق لذى جاءهم واتخذوا
آياته التى هى احسن مما طلبوه هزوا. ولو يؤخذهم الله بما
كسبوا لجعل لهم ذاك العذاب الذى طلبوه ولكنه غفور ر ذو
رحمة لم يشأ ان يعاجلهم به بل جعل لهم موعداً ليجدوا من دونه
موثلاً « وتلك القرى اهلكنا لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم
موعداً »

رابعها

مثل موسى وتواضعه مع علو منصبه لرجل من عباد
الله كان اقل منه ولكنه على علم من ربه . وقد قص الله كيف
طلبه مع فتاه حتى التقى به واتبعه على ان يمامه مما علمه ربه
فرضي بذلك على ان لا يسأله عن شىء حتى يحدث له منه
ذكراً : ثم ركبوا فى السفينة فخرقها فمال له موسى آخرقتها
لتغرق اهلها ونسى ما اتفقا عليه الخ ثم اخبره عن السرفى خرق
السفينة وقتل الغلام واقامة الجدار بدون اجر وأبته ما فعل
ذلك الا عن امر الله (وما فعلته عن امرى ذاك تأويل ما لم
تسطع عليه صبرا)

القصة الثانية

هي قصة ذي القرنين الذي مكن الله له في الارض حتى
بلغ مغرب الشمس فوجدها كأنها تغرب في البحر (عين حمئة)
وبلغ مشرقها فوجدها تشرق على قوم عراة وبلغ بين السدين
فوجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا . فقالوا له أن
يا جوج وما أجوج مفسدون في أرضهم وطلبوا منه ان يجعل
بينهم وبين هؤلاء القوم سورا فبناهم لهم ثم تركهم بموج
بعضهم في بعض الى ان ينفخ في الصور فيجمعون إلى الحشر
ثم تعرض جهنم على الكافرين الذين اعرضوا عن القرآن
وطلبوا تلك القصص واتخذوا من دون الله أولياء فكانوا
أخسر الناس أعمالا . أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم
جنتات الفردوس خالدين فيها لا يبعثون عنها حولا

ثم نوه بشأن القرآن في الختام كما نوه به في ابتداء
السورة فذكر بعد ان حكى تلك القصص العجيبة ان هذا
قليل من كثير . ولو كان البحر مدادا لكتبنا الله لنفد قبل
ان تنفذ ولو جرى بمثله مددا . ولا يمكن ان يكون
هذا من عند النبي لانه ليس الا بشرا مثلهم اوحى اليه ان

أَلْهَمَ لَهُ وَاحِدًا» فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا
وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا»

سورة مريم

سميت هذه السورة بذلك لذكر قصة مريم فيها. والغرض
منها بيان ما كان عليه رسل الله وأوليائه في نواضعهم لما يتلى
عليهم من آيات ربه وعدم تكبرهم عليها كما يتكبر هؤلاء
المشركون ولا يرضون أن يؤمنوا إلا أن يطرد النبي الفقراء
من أصحابه. والمضى في ذلك القصص العجيب تقرير السعة
كلمات الله التي ينفد البحر لو كان مداداً لها ولا تنفذ. وبهذا
تنقسم هذه السورة إلى قسمين أولهما في ذكر قصص أولئك
الأنبياء والأولياء تفصيلاً. وثانيهما في تذييلها بما يوافق الغرض
للقصود من ذكرها

القسم الأول

كهيص ذكر رحمة ربك عبده زكريا
الآيات إلى قوله تعالى (ورفعه مَكَانًا عَلِيًّا)
ذكر في هذا المقام ست قصص أولها قصة زكريا. ثانيها

قصة مريم . وثالثها قصة ابراهيم مع أبيه وقومه . ورابعها قصة
موسى . وخامسها قصة اسماعيل وسادسها قصة اذريس الذى كان
صديقاً نبياً (ورفقناه مكاناً علياً)

القسم الثانى

. أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم
(الآيات إلى آخر السورة)

(١)

ذكر أن هؤلاء الانبياء والاولياء كلهم كانوا إذا تتلى
عليهم آيات الله خروا سجداً وبكياً . ثم أتى من بعدهم خلف
أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يعمذبهم الله إلا من
تاب وآمن فأولئك يدخلون الجنة التى يورثها الله من يشاء
من عباده . وينزلون فيها ما يشاؤون بأذن ربهم وما كان الله ليمسئ
أعمالهم فاذللك انسا في ان يحيا بعد الموت ليلاقى هذا الجزاء
فليذكر أن الله خلقه من العدم ولم يك شيئاً الخ .

(٢)

ثم ذكر أن هذا الخلف بمد ان اضاع الصلاة واتبع
الشهوات اذا تتلى عليه آيات الله شمع بأنفه مغترا بما عنده

من مال وأثاث وكم أهلك الله قبله من أقوام كانوا أغنى منه
وانما يمد لهؤلاء حتى اذا رأوا ما يبرءون فسيسمون أنهم دون
من يشمخون عليهم باموالهم » والباقيات الصالحات خير عند
ربك ثوابا وخير مردا »

(٣)

ثم ذكر أن منهم من يبالغ في الغرور ويظن ان له خير
الدنيا والآخرة ان كانت كانه أطلع الغيب أو اتخذ عند الرحمن
عهدا . وأنهم اتخذوا من دون الله الهة يزعمون أنها ستكون
لهم يوم القيامة عزاً مع أنها ستكفر بعبادتهم وتكون عليهم
ضداً ولكن الشياطين هي التي توسوس لهم بهذا مع
أن الله يعلمهم ثم يحشرهم فلا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند
الرحمن عهداً . وأنهم قالوا أيضاً أن الرحمن ولدأ من الملائكة
التي يعبدونها فلا يمكن أن يهان يوم القيامة من يعبدها .
وهذا قول منكر تكاد السموات والارض تتشقق منه وتخر
الجبال هدا . وما من معبود لهم يوم القيامة من الملائكة
وغيرها الا ويأني الله عبداً . ثم يحضر كل واحد من هؤلاء
المشركين وليس معه من تلك المعبودات احد أما المؤمنون

فسيكونون بخلاف هذا ويجعل لهم الرحمن وداً يشفع به بعضهم في بعض

ثم ختم السورة بأن هذا القرآن الذي يحقرونه إذا تبلى عليهم من الله وتيسيره أنزله على النبي ليمدح به المتقين وينذر به قوماً لا « وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا »

سورة طه

سميت بذلك لا ابتداءً بهذا الاسم وهو في لغة عك بمعنى رجل ويراد منها بعد أن ذكر في السورتين السابقتين أن أشرف المشركين لم يؤمنوا بالنبي تسليته على عدم إيمانهم به وأنه لا يصح أن يشقى بذلك ولهذا افتتحت بذكر ذلك كما اختتمت بأمره بالصبر على أذى دلالة على أن هذا هو المقصود منها. وقد ذكر بين الفاتحة والخاتمة قصة موسى بما فيها من ضروب الفتن والحن التي حصلت له ليكون في هذا تسليمة للنبي بعد تلك التسليمة ثم ذيلت بأصناف من الوعيد تسليمة له أيضاً وتهديداً لهم ليرتدعوا ويؤمنوا. وبهذا تنقسم هذه السورة إلى أربعة أقسام

كل قسم منها في ناحية من تلك النواحي التي اشرنا اليها

القسم الاول

طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى

الايات الى قوله تعالى

الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى

ذكر أنه لم ينزل عليه القرآن ليشقى بعدم ايمانهم به بل
ليذكرهم به آمنوا أو لم يؤمنوا وهو ليس الا تنزيلا ممن خلق
الارض والسموات العلى... (الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى)

القسم الثانى

وهل أتاك حديث موسى

الايات الى قوله تعالى

انما أهلكم الذى لا اله الا هو وسع كل شىء علما

ذكر قصة موسى وكيف كان اصطفاء الله له ثم قص
ما جرى له مع فرعون الى ان أغرقه الله . وما جرى له مع
قومه بعد هذا ومع السامرى الذى أضل بنى اسرائيل في
غيبه موسى الخ

القسم الثالث

كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق وقد آتيناك
من لدنا ذكراً

الآيات الى قوله تعالى

ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى

(١)

ذكر أن هذا القرآن الذى يقص عليه تلك الانباء ما هو
الا ذكر عظيم من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزراً
وقد يقولون اذا صح انا نحشر وتنقضي الدنيا فأين تذهب
تلك الجبال العظيمة . والجواب ان الله ينسفها نسفا . وبوهئذ
يدعون الى الحشر فيجيبون وتخضع الوجوه لآتى القيوم
ويخيب الظالمون ولا يخاف المؤمنون ظاماً ولا هضماً . ثم ذكر
أن الله أنما يفصل لهم الوعيد هذا التفصيل ليتقوا والا يحدث
لهم ذكراً . يعنى حدثاً عظيماً أمر النبي بانه ظاره فقال (ولا تعجل
بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه ونل ربى زدنى علماً)

(٢)

ثم ذكر تأييداً لهذا أن الله عهد الى ادم ان يجعل الجنة

سكننا له بشرط أن لا يأكل من الشجرة التي نهاه عنها والا
يخرجه منها فلما أكل منها أخرجه علي عظم منزلته عنده لانه
لا يخلف وعيده كما لا يخلف وعده فمن يتبع هداه فلا يضل
ولا يشقى . ومن يعرض عنه فإنه يعيش في الدنيا مديدة ضئلا
ويوم القيامة يحشر اعمي . وكذلك يجزى الله كل من اسرف
ولم يؤمن بايات ربه من هؤلاء المشركين وغيرهم ولو انهم
نظروا فيمن أهلكهم الله من قبلهم لعلموا ان ذلك الحدت
الذي يوعدون به لا بد أن يحصل لهم (ولولا كلمة سبقت من
ربك لكان لزاما واجل مسمى)

القسم الرابع

فاصبر على ما يقولون وسمي بحمد ربك قبل طلوع
الشمس وقبل غروبها

الايات الى آخر السورة

امره بالصبر بعد أن سلاه وان يستعين بالله وتسبيحه في
تلك الاوقات ليفوز بالرضا . ونهاه ان يمد عينيه الى ما تمتم به
من الاموال والاولاد فما عند الله خير وابقى . وأمره أن يقوم
بوظيفته من وعظ أتباعه وحشهم علي فعل الصلاة وهو يتكفل

برزقه ويجعل الماقبة له على اعدائه (والماقبة للتقوى)
ثم ذكر أنهم يطلبون اية من ايات العذاب الذى اوعدهم به
وامر النبي بانتظاره كأن عذاب الله لم يحصل لمن قبلهم ولم
تأتهم اخباره في الصحف الاولى. ولو ان الله اهلكهم بعذاب
قيل أن يرسل اليهم لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا
ينذرنا بذلك العذاب فنتبعه ولا نذل ونخزي (قل كل متربص
فتربصوا فستمعلمون من أصحاب الصراط السوى ومن اهتدى)

سورة الانبياء

سميت هذه السورة بذلك لانه اجتمع فيها على قصرها
من اخبار الانبياء ما لم يجتمع في غيرها. وقد جاء في آخر
السورة السابقة ان اولئك المشركين افترحوا على النبي آية
عذاب وكان فيما أجابهم عن اقتراحها انها آية فليرتقبوها
فستمعلمون أى الفريقين على الصراط السوى، فجاءت هذه
السورة وأولها في بيان قرب يوم ذلك العذاب وحسابهم فيه
واخراها في تعيين ذلك الصراط السوى وأنه التوحيد الذى
جاء به الانبياء الذين ذكرهم في هذه السورة. وهى تنقسم

الى قسمين كل منهما في ناحية من تينك بهذا الناحيتين

القسم الاول

اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون

الايات الى قوله تعالى

ونضع الموازين القسط ليوم القيامة (الآية)

(١)

ذكر انه قد اقترب اليوم الذي يحاسبون فيه وهو الذي
انذرههم به في السورة السابقة ومع هذا فهم ماضون في غفلتهم
وكلماء جاءهم النبي بما يذكرهم من القرآن قال بعضهم لبعض
انه بشر مثلنا وما قرآنه الا سحر وتوويه . والله يعلم انه ليس
كذلك وهو يعلم حقائق الاقوال في السماء والارض وهو
السميع العليم . ثم قالوا انه أضغاث احلام أو افتراء من
نفسه أو هو شعر وتزويق فيجب ان يأتيهم بآية مثل التي
أتى بها الرسل من قبله . وقد أجاب عن هذا بأن الامم التي
جاءتهم تلك الايات لم يؤمنوا بها فكذلك هم . وبأنه اذا
كان بشرا مثلهم فكذلك كان الرسل الذين كانوا ينذرون
بمثل ما ينذر به فصدمهم الله وعده وأهلك المسرفين من

قومهم . فكم قسم من قراهم التي كانوا يركضون منها عنفسهم
نزول العذاب فيقال لهم لا تركضوا وارجعوا إلى مساكنكم
لعلكم تسألون . وهناك يقولون يا ويلنا انا كنا ظالمين (فما
زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خاامدين)

(٢)

ثم ذكر أن ذلك كان عدلا لانه لم يخلق السماء والارض
وما بينهما عبثا . بل لغاية من سار في طريقها نجا ومن ضل
عنها هلك . ولو كان يخلق شيئا للهو لآخذ ذلك ممن عنده
من الملائكة ولم يتخذ من الانس . وكيف يجوز عليه اللهو
وهو الذى يقذف بالحق على الباطل فيزهرقه وله من في
السموات والارض ومن عنده من الملائكة لا يستكبرون
عن عبادته ولا ينقطعون (يسبحون الليل والنهار لا يفترون)

(٣)

ثم ذكر أن هؤلاء الملائكة لا يمكن ان يكونوا شركاء لله
أو اولادا يلهو معهم والا لاختلفوا معه وفسد ملكه وانما
هم عباد مكرمون . وحالهم في الوعد والوعيد كغيرهم من
العبيد فمن يقل منهم انى آله يجزى بجهنم كما يجزى غيره .

وكيف يكون لله شريك او ولد وهو الذى فصل السماء
من الارض وكانتا قبل ملتصقتين الخ (وهو الذى خلق
الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون)

(٤)

ثم رجع الى أصل الكلام فذكر انه لا يمكن ان يخلد
احد لا النبي ولا هؤلاء المشركون الذين يستهزئون به على
ذمه آلهتهم وهم أحق بالاستهزاء لانهم يكفرون بالله الذى
لا إله غيره : واذا كان الامر كذلك فلا بد من ذلك العذاب
الذى ينذرهم به عاجلا او آجلا ولكنه الانسان خلق من
عجل ولو يمامون ما عدلهم فيه ما استعجلوه . ولقد استهزأ من
قبلهم به فحاق بهم ما كانوا به يستهزئون . وان الله هو الذى
يحفظهم بالليل والنهار فاذا اراد عذابهم منع عنهم حفظه فلا
ينعمهم منه آلهتهم وقد سلط المساميين عليهم ينقصون من
ارضهم فلا يمكن ان يكونوا هم الغالبين

(٥)

ثم ذكر انه ينذرهم بذلك العذاب عن وحى فلا يمكن
ان ينجوا منه ولكنهم صم لا يؤثر فيهم انذار به مع انهم

اذ اسمهم قليل منه يقولون يا ويلنا انا كنا ظالمين (ونضع
الموازين القسط ليوم القيامة) الآية

القسم الثاني

ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكر الممتقين

الآيات الى آخر السورة

جری الكلام في هذا القسم في مقامين اولهما في سرد
قصص الانبياء الذين ذكرهم والثاني في تذييله ببيان الغرض منه
وقد ذكر في المقام الاول عشر قصص اولها قصة
موسى وهرون . ثانيها قصة ابراهيم مع قومه . ثالثها قصة
لوط . رابعها قصة نوح . خامسها قصة داود وسليمان . سادسها
قصة أيوب . سابعها قصة اسماعيل وادريس وذی الکفل
وثامنها قصة يونس صاحب الحوت : وتاسعها قصة زكريا .
وعاشرها قصة مريم التي احصنت فرجها « فنفخنا فيها من
روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين »

المقام الثاني

ثم ذكر أن هذه الطوائف من الانبياء وهي الارومة
التي ينتمون اليها كانت أمة واحدة على دين واحد هو دين

التوحيد وانما تفرقوا من بعدهم والى الله مصيرهم. فمن يتمسك
 بهذا الدين ويعمل من الصالحات فلا كفران لسميه. ومن
 ينحرف عنه ممن اهلكهم الله في الدنيا على تكذيبهم برسالم
 فلا بد من رجوعهم الى الله حتى اذا حشروا اليه عند قيام
 يا جوج وما جوج وهو من اشراط الساعة نادوا بالويل مما
 يرون وشهدوا انهم كانوا ظالمين. وهكذا يكون ما آل هؤلاء
 المشركين وما يعبدونه من دون الله ان يكونوا حصب جهنم
 هم لها واردون. اما المؤمنون فيعبدون عنها ولا يحزنهم الفزع
 الا كبر يوم تطوي السماء ويعيد الله الخلق كما بداه. وكيف
 لا يكون هذا وذلك وقد كتب الله في الزبور من بعد التوراة
 أن الارض يرثها اولئك المؤمنون فليتمدبر المشركون قبل ان ينجز
 الله وعده وفي هذا كفاية لقوم يعلمون. وليعلموا ان الله لم
 يرسل النبي الا رحمة لهم ولا يريد منهم الا أن يسلموا لله وحده
 فان آمنوا فيها والا فإنه قد اعذر اليهم ولا يدرى اقرب ام
 بعيد ما يوعدون فان الله هو الذي يعلم وقته وحده ولعل ابهامه
 فتنه لهم ومتاع الى حين « قال رب احكم بالحق وربنا الرحمن
 المستعان على ما تصفون »

سورة الحج

سميت هذه السورة بذلك للكلام على الحج فيها . وقد ختمت السورة السابقة بتهديد المشركين بالفزع الاكبر يوم القيامة . وبتسليط المسالمين عليهم في الدنيا بالقتال والاستيلاء على البلاد . فجاءت هذه السورة وأولها في شرح ذلك الفزع الاكبر وان من يعرفه لا يليق به أن يجادل في الله بغير علم أو يعبد على حرف . وآخرها في أذن المؤمنين بالقتال لفتح تلك البلاد التي اخرجوهم منها وصدوهم عن دخولها لاداء مناسكهم فيها . فهي تنقسم إذاً إلى قسمين كل قسم منها في شاحية من تينك الناحيتين

القسم الاول

يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم
الآيات إلى قوله تعالى
وهذوا إلى الطيب من القول وهذوا إلى صراط الحميد

(١)

أمر الناس أن يتقوا ربهم لينجوا من فزع يوم القيامة

اذ تزلزل الارض زلزالا عظيما نذهل منه كل مرصعة عن
رضيعها (وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولا كمن عذاب
الله شديد)

(٢)

ثم ذكر انه مع هذا يوجد من يجادل في الله وينكر ذلك
البعث بغير علم مع ان الله خلقهم من تراب ثم من نطفة الخ
فهو قادر على بعثهم كما قدر على خلقهم . ومنهم من يجادل في الله
ليضل الناس عن سبيله . ومنهم من يوافق فيعبد الله على شك
من العاقبة فان اصابه خير اطمان به . وان اصابته فتنة انقلب
على وجهه . يدعو من دون ما لا يضره وما لا ينفعه (يدعو
لمن ضره اقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس المشير

(٣)

ثم ذكر المؤمنين بعد الكافرين وجزاءهم في ذلك اليوم
ونصرهم في الدنيا وان ظن الشاكون في أمرهم انهم ان
ينصروا . وأن الله يجمعهم في ذلك اليوم مع اليهود والصابئين
والنصارى والمجوس والمشركين ويفصل بينهم بعد ان اختصموا
في ربهم . فالكافرون تقطع لهم ثياب من نار والمؤمنون يدخلهم

الله جنات يحلون فيها من أساور من ذهب ... (وهدوا الى
الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد)
القسم الثاني

أن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام
الآيات الى آخر السورة

(١)

مهدي للاذن في قتال المشركين بيديهم يصدون المسلمين
عن المسجد الحرام مع ان الله جملة للناس سواء وانهم يصدون
فيه بعبادة الاصنام مع ان ابراهيم حين بناه امر ان لا يعبد
فيه غير الله . وان يشرع للناس الحج اليه ليشهدوا منافع لهم
ويذكروا اسم الله ويطعموا البائس الفقير . وكذلك يعظمون
حرمات الله فيه فلا يستبيحون صيده والانعام حلال لهم
فيه إلا ما استثنى منها في سورة المائدة وكذلك يمتنعون الاوثان
والنملية لها ويعظمون شعائر الله وهي هدايا الحرم يقتفون
بها الى أن يحل نحرها ... (ان ينال الله لحومها ولادماؤها) الآية

(٢)

ثم ذكر ان الله لا يترك المؤمنين ممنوعين من حرمه بل

يدافع عنهم هؤلاء المشركين ويأذن لهم في قتالهم ولولا أن
يدفع الله أهل الباطل بأهل الحق لتهدمت بيوتهم
من المساجد وغيرها . ثم وعدهم بالنصر وبين أنهم
يستحقونه لانه ان مكن لهم في الارض (اقاموا الصلاة
واتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة
الامور)

(٣)

ثم ذكر انهم أن يكذبوه في هذا الوعد فقد كذبت
قبلهم قوم نوح وغيرهم فأمرهم الله ثم أخذهم فأهلك قراهم
وأنهم ليرونها في أسفارهم ولا يتعظون لعمى قلوبهم وأنهم
لا تعمى الابصار (ولكن تعمى القلوب التي في الصدور)

(٤)

ثم ذكر انهم يستعجلونه به ولن يخلف الله وعده وأن
أمل لهم . فالذين آمنوا لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا
في إبطال آيات الله أولئك أصحاب الجحيم . وهذا كما سمى
بعضهم عند ما نزلت سورة النجم فقرأ النبي (أفرايتم اللات
والعزى ومناة الثلاثة الاخرى) فقال هو تلك الغرائيق العلى

واشفاعتهم لترتجى . واللقى ذلك في وسط قراءة النبي بحملة
 شيطانية ظن المشركون معها ان هذا من القرآن ففرحوا
 وهكذا كان لكل رسول شيطان من الانس اذا قرأ القى في
 قراءته مثل ذلك فينسخ الله ما يلقى به ويحكم اياته والله عليم
 حكيم . وانما يفعل الله ذلك ليختبر به مرضى القلوب وانه لهادى
 الذين آمنوا الى صراط مستقيم . ويترك غيرهم في
 في شكهم بما وعدون به حتى يأتهم بغتة في يوم يكون الامر
 فيه لله يحكم بينهم فالؤمنون في جنات النعيم (والذين
 كفروا وكذبوا بآياتنا فاولئك لهم عذاب مهين)

(٥)

ثم ذكر جزاء المهاجرين في ذلك اليوم وحدهم تشريفا
 لهم فوعد بأنه يرزقهم رزقا حسنا ويدخلهم مكة مدخلا
 يرضونه وهو الذى يولج الليل في النهار ويعلم انهم على الحق
 واعدائهم على الباطل وهو الذى ينزل من السماء ماء ... (وهو
 الذى احياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ان الانسان لكفور)

(٦)

ثم ختم السورة بقطع اطاعهم في عدو النبي عن دعوته

وترك قتالهم فبين ان لكل امة شريعة لا يمكن الا ان تعمل بها
ونهى النبي ان يضعف في مجادلتهم او ينقطع عن دعوتهم فان ابوا
الا العناد فليس عليه الا ان يحذرهم مما يعملون مما يعلم الله به
ويكتبه لهم الى يوم القيامة (الم تعلم ان الله يعلم ما في السماء
والارض ان ذلك في كتاب ان ذلك على الله يسير)

(٨)

ثم مضى على سبيل التمرين قليلا في تلك الدعوة فبين
انهم يعبدون من دون الله مالا دليل لهم عليه ثم لا يرضون بما
يأتينهم من الايات البينات على ان الله لا اله غيره ثم ضرب لهم
مثلا بين لهم فيه ان آلهتهم لا تقدر على خلق الذباب الخ
ثم ذكر انه يصطفى لدعوته من يشاء من الملائكة والناس بما
يعلمه من حالهم واثله ترجع الامور . ثم امر المسلمين ان
يستعينوا عليهم بالله وان يمشوا في جهادهم الذي اذن لهم فيه
بعد ان اختارهم لنصرته واعطاهم دينالا حرج عليهم فيه هو دين
ابيهم ابراهيم . . . (فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا
بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير)

سورة المؤمنين

سميت هذه السورة بذلك لافتتاحها ببيان صفات المؤمنين التي بها يفلحون على اعدائهم بعد أن اذن لهم في قتالهم في السورة السابقة . وقد ذكر فيها بعد هذا أخبار الاولين الذين كذبوا رسلهم فأهلكهم الله وأن أولئك المشركين سيغلبون مثلهم وبهذا تنقسم هذه السورة إلى ثلاثة أقسام

القسم الأول

قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون :

الآيات إلى قوله تعالى (وعليها وعلى الفلك تحملون)

بين الصفات التي بها يفلح المؤمنون على اعدائهم وهي ستة أولها الخشوع في الصلاة الخ : وأن أصحاب تلك الصفات هم الوارثون « الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون »

ثم ذكر من نعم الله ما يؤكّد القيام بتلك التكاليف فبين أنه خلق الانسان من سلالة من طين الخ ثم خلق لهم الانعام فيها منافع كثيرة ومنها يأكلون (وعليها وعلى الفلك تحملون)

القسم الثاني

ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله

الآيات الى قوله تعالى

يا أيها الرسل كلوا من الطيبات « الآية »

ذكر من قصص الاولين قصة نوح مع قومه ثم قصة
قرن انشأه الله بعدهم « عاد أو ثمود ». ثم قصة قرون جاءت
بعد هؤلاء قرنا بعد قرن . ثم قصة موسى مع فرعون وقومه
ثم قصة عيسى مع أمه وكيف آواها الى ربوة ذات قرار ومعين
وقال لهما « يا أيها الرسل كلوا من الطيبات » (الآية)

القسم الثالث

وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون

الآيات الى آخر السورة

ذكر أن هذه الطوائف التي اهلكها الله وهي أرومتهم
التي ينتمون اليها كانت واحدة في الشرك الذي ذهبت فيه
مذاهب مختلفة كل حزب بما لديهم فرحون . فما حصل لهم
بسببه سيحصل لهؤلاء المشركين وانما هم غافلون يحسبون
ان ما عدهم الله به من مال وبنين خيرات يعجل لهم بها وليست
الا استدراجا لهم . وانما الخيرات ما يسارع فيه المؤمنون
من خشية الله والايان بآياته ونحو ذلك من الاعمال التي

لا يكافهم الله الا بما في وسعهم منها والمشركون في غفلة
عنها « ولهم اعمال من دون ذلك هم لها عاملون »

ثم ذكر انه قد اخذهم بطرف من ذلك العذاب في سني
القحط فصرخوا منه ولجؤا الى النبي في دفعه ونسوا
انه كان ينذرهم به فيكذبون ويستهنئون . كانوا لم يتدبروا
امره او كان النبي جاءهم بما لم يأت به احد من قبله او كانوا لم
يعرفوا انه ذلك الرسول الذي ، بشروا به الخ . ولو ان الله غفر
لهم كل هذا وكشف عنهم القحط لعادوا الى طغيانهم كما اخذهم
بالعذاب يوم بدر فلم يستكبنوا الربهم حتى اخذهم بذلك القحط
ففتح عليهم (بابا ذا عذاب شديد اذا هم فيه مبلسون)

ثم ذكر ان الله الذي لم يستكبنوا له بعد هذا العذاب
هو الذي انشأ لهم السمع والابصار وغيرها من النعم التي لم
يشكروه عليها فابتلاهم بذلك القحط ليعرفوا قدرها . وهو
الذي خلقهم ثم يحشرهم اليه ليزوقوا كل العذاب الذي اوعدوا
به . وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار فيقدر
على ذلك الحشر كما قدر على هذا واسكنهم لا يعلمون . بل
يقولون ائنا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون . مع ان

الله الارض والسموات وييده كل شيء ولا شريك له من ولد
او غيره "عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون"،

ثم امر النبي ان يدعو ربه ان ينجيه من ذلك العذاب
اذ الحق بهم : واخبره بأنه قادر على ان يريه ما بعدهم من عذابهم
فاذا كانت هذه عاقبتهم فليحتمل اذا هم ويستعذ بالله من
الشيطان ان يؤثر عليه فيغضب عليهم فسيندمون اذا جاءهم
الموت ويتمنون ان يردوا ليعملوا من الصالحات ما فاتهم
فلا يجابون ويتركون في برازهم الى ان يبعثوا فيحاسبوا
فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ... (وقل رب اغفر
وارحم وأنت خير الراحمين) ﴿٢٠٢﴾

صحيفة خطأ صواب صحيفه صواب
١٢٣ أخق هم ألحق بهم ١٢٨ فتكون فتكوى
في السطر الاول من (صحيفة) ٢٠٢ تأخير كلمة (بهذا) عن
أوله وفي السطر الخامس تكرير كلمة (ليوم)

الإفهام في تفسير القرآن

في حسن نظم القرآن

الجزء الثالث



« تأليف »

— ❦ — عبد المتعال الصعبي — ❦ —

المدرس بالجامع الاحمدى

* مطبعة جريدة الكمال لصاحبها نجيب يوسف * بطنطا *

سورة النور

سميت هذه السورة بذلك لانه ذكر فيها نور الله وضرب
له ذلك المثل العجيب الالهي . وقد ذكر في اول السورة السابقة
بعض احكام الايمان العملية على سبيل الاجمال : وذكر فيها
حفظ الفروج الاعلى الازواج أو ما ملكت الايمان . وفي
هذه السورة ذكر ما يتعلق بحفظ الفروج من أحكام الزنا
والقذف وغيرهما والسورة كلها بعد براءة المطلع سياق
واحد في بيان تلك الاحكام

براعة المطلع

سورة انزلناها وفرضناها وانزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون
هذه الآية كبراعة مطلع لهذه السورة بين فيها ان
الفرض منها يبان شيء من الفروض والاحكام العملية في
آيات بلغت أعلى درجات البيان

الاحكام

الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة
الآيات إلى آخر السورة

حكم الزنا

ذكر فيه حكمين وجوب جسد كل من الزاني والزانية
وتحريم زواج الزاني على المؤمنة العفيفة وزواج الزانية على
المؤمن العفيف

حكم القذف

القذف اما للاجنبيات واما للزوجات فقاذف الاجنبية
ان لم يقم اربعة شهود على زناها يجلد ثمانين جلدة الخ وقاذف
زوجته اذا لم يكن معه اربعة شهود على زناها يلاعنها فيدوأ
يلعانه حد القذف عن نفسه : وتدرأ بلعانها حد الزنا عن
نفسها. وهذا من فضل الله ورحمته بهما (وأن الله تواب حكيم)
حديث الافك

ولما فرغ من بيان حد القذف ذكر حديث الافك
المعروف لان حد القذف بل هذه السورة نزلت بعده وبسببه
ويراد منها تحديد علاقه الرجل بالمرأة دفعا لمثل تلك الريبة
التي كاد المسلمون يفتتنون بسببها ! ولما نزلت هذه الايات
في براءة عائشة حلف ابو بكر لا ينفق على مسطح بن اثابة
لانه كان من قاذفيها وكان ينفق عليه لقرابته وفقره ! فنزل

فما نزل في ذلك الحديث النهي عن مثل هذا (ولا يأكل
أولو الفضل منكم والسعة أن يؤثوا أولى القربى) فرجع أبو
بكر إلى الاتفاق عليه ! وانتهى الكلام في ذلك الحديث
بقوله تعالى (الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات) الآية

آداب البيوت

نهى عن دخول بيوت الغير قبل الاستعلام عن أهلها
والسلام عليهم والاذن منهم وأباح دخول غير بيوت السكنى
بغير اذن كالحانات والرباطات

حكم النظر

أمر الرجال بغض البصر عن النساء وأمر النساء بمثل
ذلك وأن لا يبدن زينتهن الا لازواجهن ونحوهم

انكاح الايامى

أمر بأنكاح الايامى من يصلح للأنكاح من العبيد والاماء
وأمر من لا يجد مهرا أن يستعف حتى يغنيه الله. وأمر بمكاتبة
الارقاء وحرم إكراه الفتيات على البغاء طمعا في عرض الدنيا
(ومن يكرههن فإن الله من بعدا كراههن غفور رحيم)

استط — راد

لما كانت تلك العادة من أقبح عادات الجاهلية وكان المنافقون
 كعبد الله بن أبي بكر هون فتيانهم على عادتهم أراد الله أن يقطع
 بهم سياق سرد الاحكام الى مقامين أولهما في بيان فضل
 القرآن والاهتداء بآياته اليمنات وأن الله أنار به السموات
 والارض وجعل نوره كمسكة فيها مصباح الخ. وان الله يهدي
 الى ذلك النور من أراد سعادته من رجال لا تلهيهم تجارة ولا
 بيع عن ذكر الله . والذين لا يهتمون اليه أعمالهم كسراب بقيمة
 أو كظلمات في بحر لحي (ومن لم يجعل الله له نورا فإنه من نور)
 وكيف يكون له نور وهو يرى كل من في السموات والارض
 قد اهتدى اليه (كل قد علم صلاته وتسميته) وهو لم يهتد
 اليه . كيف يكون له نور وهو يرى الله يسوق السحاب ثم
 يجمع بين أجزائه حتى يتراكم بعضها فوق بعض الخ ويراد
 بهذا كله تذكيرهم بأن هناك ما هو أهم من عرض الحياة الذي
 يكرهون بسببه فتيانهم على البغاء

ففيها في ذم أولئك المنافقين على أظهارهم الايمان والطاعة
 فاذا نهوا عن ذلك الاكراه أو نحوه تولوا وهم معرضون . وقد

مغى في ذكر قبائحهم ماشاء ثم رجع الى سرد الاحكام
آداب الخدم ونحوهم

حرم عليهم فيما تقدم دخول البيوت بغير إذن وأباح
هنا لعميلهم ومن لم يبلغ منهم الدخول بغير إذن الا في أوقات
الثلاثة قبيل الفجر النخ ثم نفى الحرج عن العميان
وذري العاهات في دخول البيوت والا كل منها لاحتاجهم كما
يباح للانسان ان يأكل من بيته او بيت ابنه او نحوه

آداب الاجتماع

ذكر انه اذا جمع النبي المؤمنين لهم لم يحزلهم ان يخرجوا
بدون أذنه : وان الله ليعلم من يتسلل فيخرج في خفية من
المنافقين ويحذرهم أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم
(الا ان لله ما في السموات والارض قد يعلم ما انتم عليه) الآية

سورة الفرقان

قد نوه بشأن القرآن في السورة السابقة وضرب له
مثلا ذلك النور العجيب ثم أتى بعدها بهذه السورة لدفع
ما يفترونه عليه وعلى النبي الذي جاء به ولهذا سميت باسمه وقد
جاء أولها في التنويه بشأنه ودفع افتراءهم عليه وآخرها في

تصبير النبي على آذام وبهذاتنقسم هذه السورة الى قسمين

القسم الاول

تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً

الايات الى قوله تعالى

ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً

نوه بشأن القرآن وشان منزله الذي له ملك السموات والارض

ليس له فيه ولد أو شريك من آلهتهم الذين لا يخلقون شيئاً إلخ

ثم ذكر لهم افتراءات خمسة أولها أن هذا القرآن من

عنده ويعينه عليه بعض اتباعه وثانيها أنه أساطير الاولين

يحفظها له غيره بكثرة وأسميلاً وثالثها أن الذي جاء به يأكل

الطعام ويمشي في الاسواق وليس معه ملك يصدقه ولا ما يغنيه

عن طلب المعاش من كنز يلقى اليه من السماء أو نحوه وقد

اجاب عن هذا بأن الله أن شاء جعل له خيراً من ذلك جنات

وقصوراً ولكنهم يكذبون بالساعة ويظنون أنه لا خير الا في

الدنيا وبأن الرسل قبله كانوا يأكلون الطعام ويمشون في

الاسواق مثله ورابعها أنه لا وجه لنزول الملائكة به عليه دونهم

وقد اجاب عنه بأنه تعنت وبأن الملائكة لا تنزل على مثلهم بالوحي

بل يوم يرونهم لا بشر لهم ويقولون حجر محجوراً الخ وخامسها
انه لم ينزل عليه جملة واحدة كما انزلت التوراة ونحوها وقد
اجاب عن هذا بان نزل مفرقاً لئلا يثبت به فؤاده وليدفع كل اعتراض
لهم في حينه (ولا يأتونك بمثل الاجتنالك بالحق وأحسن تفسيراً)

القسم الثاني

الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم أولئك شر مكاناً
الآيات الى آخر السورة

ابتدأ هذا القسم ببيان سوء عاقبتهم وانذارهم بما حصل
لاعداء الرسل من قباهم الى ان ذكر عدم اعتبارهم بما يرونه من
آثارهم واستهزاءهم بالنبي الذي يريد أن يضلهم في زعمهم (وسوف
يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلاً)

ثم ذكر للنبي جهلهم وان الله هو الذي مد الظل ولو
شاء لجعله ساكناً الخ وانهم يعبدون من دونه ما لا يضرهم ولا ينفعهم
الخ وانهم اذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن الخ
ثم ذكر حال عباده المؤمنين بعدهم وانهم يحزون الغرفة
خالدين فيها حسنت مستقراً ومقاماً (قل ما يعيا بكم ربى لولا
دعائكم فقد كذبتهم فسوف يكون لزاماً)

سورة الشعراء

سميت هذه السورة بذلك لانه تسكلم فيها على الشعراء
وانهم يتبعهم الغاوون . والغرض منها التنويه بشأن القرآن
مع تسليمة النبي علي عدم ايمانهم به وهي تنقسم إلى قسمين

القسم الاول

طسم تلك آيات الكتاب المبين

الآيات الى قوله تعالى

وان ربك هو العزيز الرحيم (الاخير)

نوه اجمالاً في ابتداء السورة بالآيات التي سيذكرها
فيها ونهى النبي ان يحزن لعدم ايمانهم بها وبين انه قادر على
ان ينزل عليهم آية من السماء فيأخذهم بالعذاب بعد ان لم تنفع
فيهم تلك الآيات

ثم سرد تلك الآيات وهي ثمانية اولها كونية يرونها
في الارض وما انبت الله فيها من كل زوج كريم . والثانية
تاريخية تتعلق بما جرى لموسى مع قومه . والثالثة تتعلق بما
جرى لابرهم مع قومه . والرابعة تتعلق بما جرى لنوح مع
قومه . والخامسة تتعلق بما جرى لهود مع عاد . والسادسة

تتعلق بما جرى لصالح مع ثمود . والسابعة تتعلق بما جرى
للو ط مع قومه . والثامنة تتعلق بما جرى لشعيب مع اصحاب الايكه

القسم الثاني

وانه لتنزيل رب العالمين

الآيات إلى آخر السورة

أثبت ان الكتاب الذى يشتمل على تلك الآيات العجيبة
لا يصح لهم أن يشكوا فى أنه من الله خصوصا بعد أن
بشرت به الكتب المنزلة قبله وعلم بصدقه علماء بنى اسرائيل
الحاشم ذكر أنه ليس من جنس ما تلقى الشياطين على الكهان
والشعراء كما يزعمون لان مثل هذا لا يستطيعونه وهم معزولون
عن استماع كلام أهل السماء . . . ولانهم لا يتنزلون الا على
كل افكائهم من الكهان والشعراء الذين يتبعهم الغاؤون . . .
(الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا) الآية

سورة النمل

سميت هذه السورة بذلك لانه ذكر فيها ما جرى للنمل
مع سليمان ويقصد منها التنويه بشأن القرآن أيضا وينقسم
ما جاء فيها تحت هذا الغرض الى قسمين أولهما فى التنويه

بشأن القرآن وذكر شيء من اخبار الاولين . وثانيهما في

تعقيبها بما يناسب الغرض من ذكرها

القسم الاول

طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين

الآيات الى قوله تعالى

وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين

نوه بآيات السورة والكتاب المشتمل عليهما ووصفه

بأنه هدى وبشرى للمؤمنين ثم ذكر انه أنه يلقاه من لدن

حكيم عليهم تهيدا للاخبار التي سيذكرها ولا علم له من قبل

بها . واولها يتعلق بموسى . وثانيها يتعلق بدادود ابنه سليمان .

وثالثها يتعلق بصالح وحمود . ورابعها يتعلق بلوط مع قومه وقد

اراد قومه أن يخرجوه من قريتهم فامطرهم الله فساء مطر المنذرين

القسم الثاني

قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصح - طفي الله خير

أما يشركون

الآيات الى آخر السورة

أمر النبي أن يحمد الله الذي أعطاه هذا القرآن وعرفه

أخبار هؤلاء الرسل وإن يسلم عليهم ويقر بأن الله الذي علمه
هذا خير مما يشتركون الخ ثم ذكر أن القرآن يقص من تلك
الأخبار ما يحبه أهل الكتاب من بني إسرائيل وهو مع هذا
هندي ورحة للمؤمنين. ولكن هؤلاء المشركين صم لا يسمعون
وعمي لا يهتدون الخ ثم ختم السورة ببيان أنه مأمور بعبادة رب
هذه البلدة « مكة » وبتلاوة القرآن المنزل عليه فمن اهتدى
فلنفسه ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين (وقل الحمد لله سير بكم
آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون)

سورة القصص

سميت هذه السورة بذلك لأن معظمها وارد فيه وقد
جاء أولها في التنويه بالقرآن وذكر شيء من دوائع آياته
في قصة موسى مع فرعون. وآخرها في الاحتجاج بها على
أنه من عند الله ودفع ما عندهم من شبه عليه

القسم الأول

طسم تلك آيات الكتاب المبين

الآيات إلى قوله تعالى

ولقد آتينا موسى الكتاب « الآية »

نوه بآيات السورة والكتاب المشتمل عليها ثم ذكر
قصة موسى مع فرعون الى ان انتهى الى تلك الآية

القسم الثاني

وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الأمر
الآيات الى آخر السورة

ذكر انه لم يكن مع موسى في جانب الطور الغربي
اذ أنزلت عليه التوراة ولم يبرح مكة الى مدين التي جرت
فيها بعض تلك الحوادث وانما هو قرآن يوحى اليه من ربه
الح . ثم ذكر لهم شبهتين عليه اولاهما انه لم يؤت مثل ما
اوتي موسى الح والثانية انهم يخافون من الايمان به والخروج
على قبائل العرب ان يتخطفهم من ارضهم . وقد اجاب عنها
بأن الله قد اوجدهم في حرم آمن فلا يخاف عليهم . وبأن الله
ينصرهم عليهم كما نصر من قبلهم واهلك اعداءهم وبأن ما يخافون
عليه ان هو الا متاع الحياة الدنيا ولا يذكر بجانب ما اعد للمؤمنين
من الثواب وللـكافرين من العقاب يوم الآخرة اذ يناديهم الله ابن
شركائي الح ثم ضرب لتهوين ما يخافون عليه من ذلك المتاع مثلا
قارون وما اوتيته من السكنوز ففرح بها وآثرها مثلهم على

ما عند الله نخسف به وبداره الارض الخ ثم ختم السورة بعد ان
فرغ من اثبات صحة القرآن بارشاد النبي الى الاكتفاء بذلك
وتوكلهم الى الله الذي هو أعلم بمن هو على الهدى ومن هو في
ضلال مبين . ثم ذكره بنعمة الله عليه بذلك الكتاب الذي
ما كان يرجو ان ينزل عليه فلا يصح ان يظاهر أولئك المشركين
أو يدعوا مع الله الها آخر (لا إله الا هو كل شيء هالك الا
وجهه له الحكم واليه ترجعون)

سورة العنكبوت

سميت هذه السورة بذلك لانه شبه فيها اعتماد المشركين
على آلهتهم باعتماد العنكبوت على بيتها . ويقصد منها تهوين
أمر الجهاد على الخائفين ان يتخطفوا من ارضهم اذا آمنوا
وتنقسم الى ثلاثة اقسام أولها في انه لا بد من ان يلاقى
المؤمنون في سبيل الايمان مالتى غيرهم من قباهم . والثاني في
تهوين أمر أولئك المشركين عليهم والثالث في بيان ان الارض
لا تضيق بالمرء ودينه حتى يحجم أو يرتد عنه

القسم الاول

ألم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون

الآيات الى قوله تعالى

فكلا اخذنا بذنبه فنههم من ارسلنا عليه حاصباً (الآية)
ذكر انه لا يترك الناس بعد الايمان بدون ان يتعلمهم
بالجهد ونحوه كما ابتلى به من قبلهم ليعلم الصادق في ايمانه من
غيره الخ ثم قص ماجرى للمؤمنين الاولين مع اعدائهم وانه لم
يترك احدا منهم حتى اخذه بذنبه (وما كان الله ليظلمهم
ولكن كانوا انفسهم يظلمون)

القسم الثاني

مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت

الآيات الى قوله تعالى

يوم يفساهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم (الآية)
لما ذكر ما حصل لأولئك المشركين الذين كذبوا رسلهم
ولم تغن عنهم شركاؤهم ضرب لها مثلاً بيت العنكبوت الذي
لا يدفع عنها اذى من حرا او برد او غيرها تهوينا لاصر المشركين
الذين يؤذون المسلمين الخ ثم اصر النبي ان يتلوما اوحى اليه
من اخبار اولئك الانبياء ليتسلى بها . والا يعامل من لم
يؤذه من اهل الكتاب مثل هؤلاء المشركين بل يجادلهم

بالتى هى احسن الا الذين ظلموا منهم فكثير منهم يؤمن بما
أنزل اليه ولا يؤمن به الا قليل من اهل مكة ويجحد به اكثرهم
فيقترحون عليه آيات غيره ولا يبالون بما يترتب على ذلك
من العذاب بل يستعجلون به الخ

القسم الرابع

يا عبادى الذين آمنوا ان ارضى واسعة فايأى فاعبدون
الايات الى آخر السورة

ذكر ان ارض الله واسعة فمن يؤذى من المؤمنين فى
بلده فليهاجر منها الى غيرها وان الله ليجازيهم على ذلك
ويؤتهم من الجنة غرفا تجري من تحتها الانهار ولا ينساهم
إذا هاجروا من ديارهم بل يرزقهم كما يرزق الدواب التى
لا تدخر شيئاً للغد . فالله خالق السموات والارض ومسخر
الشمس والقمر يبسط الرزق لمن يشاء وينقذ (يضيق)
يعرف ذلك الذين يشركون به كغيرهم ولكن اكثرهم
لا يعقلون . وما الحياة الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الآخرة
هى الحياة ولو يعلمون لا تروها ورجعوا الى الله الذى يرجعون
اليه عند ركوب البحر وخوف الفرق وهو الذى جعل لهم

حرما آمنا يتخطف الناس من حوله اقبيا لباطل يؤمنون وبنعمة
الله يكفرون (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
وان الله لمع الحسنيين)

سورة الروم

سميت بذلك لافتتاحها بذكرهم ويقصد منها تسليية
المسلمين حين احزنهم انتصار الفرس على الروم وهم اهل
كتاب مثلهم فوعدهم بنصرهم عليهم تحقيقا لما وعده من محق
الشرك ونصر المؤمنين : وتشتمل على مقصد وخاتمة

المقصد

الم غلبت الروم في أدنى الأرض
الآيات الى قوله تعالى

وتقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل (الآية)
وعد بنصر الروم على الفرس بعد ان غلبوهم تحقيقا لما
وعده من محق الشرك وأن كان المشركون لا يصدقون
اغترارا بظواهر الحياة واقبالها عليهم وغفلة عن الآخرة
وما اعد لهم فيها ، ثم اخذني تذكيرهم بآيات الله ليثبت أن لهم
معادا ويطل بها شرهم : فذكرهم بمخلق السموات والارض الخ

ثم امر النبي والمؤمنين ان يتمسكوا بالتوحيد (دين الفطرة)
ولا يكونوا من المشركين الذين يفرحون بما لديهم من امور
الحياة فاذا مسهم ضرر رجعوا الى ربهم حتى اذا كشفه عنهم
عادوا الى شركهم مع ان الله يسطر الرزق لمن يشاء مؤمنا او
كافرا فلا يحق لهم ان يفرحوا به النخ ثم امره ثانيا ان يتمسك
بذلك من قبل ان يأتي اليرم الذي وعد المشركون به . وبهذا
رجع الى اصل الكلام ورجع الى تعداد آيات الله الدالة
على قدرته عليه الى ان ختم السورة بآية الله يضرب لهم
الامثال والادلة على ذلك ولكنهم لا يثأثرون لان الله طبع
على قلوبهم .. (فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفك الذين
لا يوقنون)

سورة لقمان

سميت بهذا لذكر وصاياه فيها اية قصد منها التنويه بشأن
القرآن وآياته المشتملة على تلك الوصايا : وقد افتتحها بالتنويه
بآيات القرآن واذم من يشتري لهو الحديث بها النخ ثم
ذكر تلك الوصايا وهي في النهي عن الشرك والامر بطاعة
والوالدين النخ ثم تكلم بمناسبة ذلك على التوحيد ونبه المشركين

إلى ما سخره الله لهم في السموات والارض ثم امرهم بتقوى
الله وان يخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده شيئا الخ

سورة السجدة

سميت بهذا لان فيها آية يسن سجود التلاوة عند قراءتها
ويقصد منها اثبات ان المرآة من عند الله نزل على النبي لينذرهم
به ويثبت لهم ان ربهم الذى خلق السموات والارض الخ
ويثبت لهم انه قادر على ان يبعثهم وان تفرقت اجزائهم في
الارض الخ وقد ذكر بعد هذا الذين يؤمنون بالقرآن وما
أعد لهم في الآخرة مما تقر به أعينهم . وذكر الذين يعرضون
عنه وما أعد لهم من العذاب الادنى (عذب الدنيا) دون
العذاب الاكبر . وذكر ان عذابهم في الدنيا بأيدي المسلمين
جاء في كتاب موسى (التوراة) الخ ثم ذكر انهم سألوه متى
هذا الفتح (العذاب) فأجابهم بأنه اذا أتى لا ينفع الكافرين
إيمانهم ولا ينظرون (فأعرض عنهم وانتظر انهم منتظرون)

سورة الاحزاب

سميت بهذا لانها نزلت بعد غزوة الاحزاب للكلام
عليها وعلى حوادث وقعت في زمنها أو قبله أو بعده بقليل .

ولما كانت اكثر احكامها تتعلق بالنبي ابتدأها بخطابه ثم مهد
لمقاصدها بأمور أولها نهيه عن طاعة الكافرين والمنافقين
لما كان منهم في غزوة الاحزاب. ثانيها ابطال التبنّي تمهيدا لقصة
زينب وقد حكم بأنه لا يمكن ان يكون المتبنّي ابنا كاملا لا يمكن
أن يكون للرجل قلب غير قلبه وكما لا يمكن أن تكون
الزوجة أما بقول زوجها لها أنت كأمي. ثالثها أن أزواج النبي
امهات المؤمنين تمهيدا لتحريمهن عليهم رابعها ان الارث بالرحم
تأكيد الأبطال التبنّي

وقد تكلم بعد هذا على غزوة الاحزاب . ثم تكلم على
حادثة تخيير النبي نساءه بين الرضا بما يعطين من كسوة
ونفقة وبين تسريحهن اذا أردن الازيادة النفقة . ثم تكلم
على حادثة زينب وزيد زوجها وكان يدعي له . ثم تكلم على
حكم الطلاق قبل الدخول وحرم علي النبي أن يزيد على
زوجاته بعد ان وسم له في نكاح الحرائر والاماء وبنات عمه
وعماته الخ ثم تكلم على الحجاب وختم السورة بنهي المؤمنين
ان يؤذوا النبي بعد ان ذكر أنواعا من الايذاء بعضها منهم
قبل نزول الحجاب . وبعضها من المنافقين الذين كانوا يتبعون

في الطرق نساء المؤمنين ثم امرهم بالتقوى والطاعة وهي الامانة
التي عرضها على السموات والارض والجبال فأبين ان يحملنها
وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا ...

سورة سبأ

سميت بهذا لانه ذكر فيها قصة سبأ ويراد منها اثبات
الساعة التي هددوا بها على ايداء النبي في آخر السورة السابقة
وقد افتتحها بحمد الله الذي له مافى السموات والارض وله
الحمد في الآخرة ثم ذكر لهم اعتراضات عليها أولها انهم قالوا
لا تأتينا الساعة الخ . ثانيها انهم لا يمكن ان يبعثوا بعد ان
يعزقوا كل ممزق وقد أجاب عن هذا بأن الله قادر على ذلك
وهم يرون آثار قدرته في السماء والارض وهو الذي سخرا الجبال
والطير لداود والريح لسليمان وارسل على اهل سبأ أسيل
العرم . ثالثها انهم سألوا متى تقوم الساعة استبعادا لها وقد
أجاب عن هذا بأن لهم ميعاد يوم يقف فيه الظالمون عند
عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول الخ وقد استمر
الجدال معهم في هذا الى ان ختم السورة بأنه اذا جاء هذا
اليوم يحال بينهم وبين ما يشتهون (كما فعل بأشباعهم من

قبل انهم كانوا في شك مريب)

سورة فاطر

يراد من هذه السورة دعوة المشركين الى الله وتصديق
النبي وقد افتتحها بالحمد لله فاطر السموات والارض الخ ثم
ذكرهم بعذابه وحذرهم ان تغرهم الحياة او يخدعهم الشيطان
عنه الخ وبين لهم ان الله قادر على بعثهم لينذوقوه كما يرسل
الرياح فتثير سحابا الخ وكما خلقهم من تراب الخ وكما يولج
الليل في النهار الخ ثم ذر لهم انه الغنى وهم الفقراء وانه ان يشاء
يذهبهم ويأت بغيرهم وان انذاره انما يؤثر فيمن يخشى ربه
بالغيب الخ ولا يمكن ان يسمع هؤلاء الاموات الخ فكما
خلق الله الكائنات مختلفة في الوانها واشكالها كذلك لا يمكن
ان يخشاه من عباده الا من لانت طبائعهم من العلماء الذين
يتلون كتاب الله الخ ثم ذكر ما اعد لهم من جنات عدن وما
أعد للكافرين من نار جهنم وبين انهم يستحقون ذلك لانه
جعلهم خلائف في الارض فكفروا به ومن كفر فعليه كفره
ولا انهم اقساموا بالله لئن جاءهم نذير ليؤمنن به فلما جاءهم
نفروا منه ومكروا به ولا يحقيق المكر الا باهله كما حاق بمن

كان قبلهم وكانوا اشد منهم قوة الخ ولكنه يؤخرهم الى اجل
مسمي فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيراً

سورة يس

سميت بهذا لافتتاحها بهذا الاسم ويقصد منها اثبات
الرسالة وبيان الغرض منها وهو الانذار بعذاب الله الذي حق
عليهم . وقد ضرب لهم امثلة وآيات تدلهم على قدرة الله عليه
واولها مثل اصحاب القرية الخ وثانيها آية الارض الميتة الخ
وثالثها آية الليل الخ ورابعها آية السفن تجري بهم في البحر
فان يشاء الله يفرقهم فلا ينقذهم غيره . ومع هذا اذا قيل لهم
اتقوا عذاب الله وانفقوا مما يرزقكم اعرضوا وقالوا متى
هذا الوعد وما هي الا صيحة واحدة تأخذهم فيرون ما أعد
لهم الى ان يقول الله هذه جهنم التي كنتم توعدون فيختم
على افواههم وتشهد عليهم جوارحهم الخ وان ما يوعدون به
من هذا حقيقة لا خيال لان النبي لم يتعلم الشعر في حياته وما
ينبغي له الخ وخامسها آية الانعام خلقها لهم فلم يشكروه
عليها واتخذوا من دونه آلهة الخ وسادسها آية الانسان خلقه
من نطفة ومع هذا يستبعد أن يبعثه بعد موته وهو الذي

أنشأه أول مرة وجعل من الشجر الاخضر نارا وخلق
السموات والارض واذا أراد شيئا قال له كن فيكون (فسبحان
الذي بيده ملكوت كل شيء وأليه ترجعون)

سورة الصافات

يراد منها تنزيه الله عن الشركاء والبنات واثبات قدرته
على بعثهم وأهلاكم كما اهلك من قبلهم . وقد اقسم بالصفات
أن اللهم واحد الخ ثم ذكر انهم أضعف خلقا ممن خلقهم
من الشياطين الذين جرى ذكرهم فهو قادر على ان يبعثهم
وهم داخرون الخ ثم ذكرهم بمن ضل قبلهم من الاولين فأهلكهم
الله حين كذبوا رسلهم : ثم ختم السورة بمثل ما افتتحها به
فنزله الله عن البنات من الملائكة والجن التي ينسبها له المشركون
وذمهم على ذلك ومدح المؤمنين الذين اخلصوا له فلا يمكن
أن يفتنوه عنه . ثم ذكر أنهم كانوا يقولون لو نزل علينا
كتاب كالاولين لكنا عباد الله المخلصين وانهم كفروا به
فسوف يعلمون الخ

سورة ص

يقصد منها اثبات الرسالة وقد اقسم بالقرآن انه رسول

ثم ذكر شبههم عليه واولها انه بشر وثانيها انه ساحر وثالثها
 انه ينكر تعدد الالهة ويخالف بذلك الملة الاخيرة (النصرانية)
 ورابعها انه لا يمتاز عليهم حتى ينزل عليه القرآن من بينهم مع
 ان الله هو الرازق يختص بذلك من يشاء . فان كان لهم في
 الامر شيء فليرتقوا في الاسباب ليطلبوا امره . ثم ذكر انهم
 سيهزمون كما هزم من قبلهم قوم نوح وعاد الخ ثم امره ان
 يصبر عليهم ليكون له اسوة بالصابرين كداود وسليمان
 وغيرهما ممن قص اخبارهم ليكون فيه ذكر له . ثم ذكر ما اعد
 للمتقين من نعيم وللطاعين من عذاب ليكون فيه ذكر آخر
 ثم ذكر : انه ما من اله الا الله الواحد القهار الخ جوابا عن الشبهة
 الثالثة . وان القرآن الذي انكروا تنزيله عليه في الشبهة
 الرابعة ما هو الا نبأ عظيم يأتيهم بما لم يكن للنبي علم به من
 خبير الملائكة الاعلى اذ يختصموت في امر آدم . ثم ذكر نهأ
 الاسألهم عليه اجرا وما هو الا ذكر للعالمين « ولتعلمن نبأه
 بعد حين »

سورة الزمر

سميت بهذا لقوله في آخرها (وسيق الذين كفروا إلى

جهنم زمرا) ويقصد منها اثبات التوحيد وأبطال الشرك .
وقد افتتحها بأن تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم فيجب
ان تخلص له العبادة ولا يعبد غيره ولو على سبيل الزلفى اليه
ثم استدل على أنه لا شريك له ولا ولد يعبد معه بأمور اولها
أنه خالق السموات والارض الخ ثانيها أنه هو الذى اذا مس
الانسان ضر أناب اليه الخ ثالثها انه هو الذى ينزل من السماء
ماء يخرج به ذرعا مختلفا الوانه . . . وأت فى هذا الذكرى
لاولى الانبياء ممن شرح الله صدره للاسلام دون القاسية
قلوبهم من ذكر الله الذى نزل أحسن الحديث الخ رابعها انه
من يتخذ آلهة مثله كعبد فيه شركاء متشاكسون لا يمكنه
أن يرضيهم ومن يتخذ لها واحدا مثله كعبد خالص لرجل
ثم ذكر ان الله يحكم بين الفريقين فى هذا يوم القيامة وان
الله فيه الكفاية لعبده فلا يصح له ان يتخذ غيره فاذا خوفوه
بالذين يدعون من دونه فلا يصح له ان يخاف وهو ان
سألهم من خلق السموات والارض ليقولن الله . فهو اذا
اراده بضر لا تكشفه آلهتهم عنه الخ . خامسها أنه هو الذى
يقبض النفوس عند الموت وعند النوم فهو صاحب التصرف

وحده وليس لأهلهم شيء عنده حتى يتخذونهم شفعاء له
 فالشفاعة لله جميعا له ملك السموات والارض الخ . ثم ذكر
 أنهم مع اتخاذهم آلهتهم شفعاء له اذا ذكر وحده اشمأزوا
 واذا ذكرت من دونه اذا هم يستبشرون الخ . وان احدهم لا
 يعرفه الا اذا مسه ضرر فاذا خبر له نعمة قال انما اوتيته على علم الخ
 وشادسها انه خالق كل شيء ويبدعه مقلد السموات والارض
 الخ ثم ذكر انهم ماقدروا الله حق قدره اذ يتخذون آلهة غيره
 والارض جميعا قبضته يوم القيامة ... ونفخ في الصور لجمع الخلق
 وحسابهم وسيق الكافرون الى جهنم زمرا وسيق الذين اتقوا
 دبرهم الى الجنة زمرا الخ

سورة المؤمن

سميت بهذا لانه ذكر فيها مؤمن آل فرعون ويقصد
 منها تحذيرهم من التكذيب بالقرآن وقد افتهجها بأن تنزيل
 الكتاب من الله العزيز العليم ثم ذكر انه ما يجادل فيه الا
 الكافرون وانه سيهلكهم كما اهلك قبيلهم قوم نوح والاحزاب
 من بعدهم وقد همت كل امة برسولهم لياخذوه الخ وكما
 اهلك فرعون وهامان وقارون لما ارسل اليهم موسى فقالوا

ساحر كذاب الخ ثم أمر النبي أن يصبر عليهم لأن ما وعده من ذلك حق وذكر أنهم يجادلون في القرآن بغير دلائل وإنما هو الكبر يحملهم على تكذيبه وخلق السموات والأرض أكبر منهم وإن الساعة لا آتية وسيدخل جهنم صاغرين أولئك الذين يستكبرون عن عبادة الله وهو الذي جعل لهم الليل ليسكنوا فيه الخ . ثم أمره ثانيا بالصبر وأخبره أن وعد الله حق فاما أن يريه بعضه أو يتوفاه قبله فإن له أجلا كما كان لوعد كل رسول قبله أجل إذا جاء قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون الخ ثم حثهم على السير في الأرض لينظر واكيف حق وعد الله على الأمم العاصية وذكر أنهم كانوا إذا ادركهم يقولون آمنا فلا ينفعهم إيمانهم « سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون »

سورة حم فصلت

سميت بهذا لقوله فيها — كتاب فصلت آياته — ويقصد منها التنويه بشأن القرآن وتحذيرهم من تكذيبه . وقد ذكر أنه كتاب فصلت آياته الخ ثم ذكر أعراضهم عنه مع أنه لا يدعوهم إلا إلى الله واحد فويل لهم من تكذيبه

والكفر بالله الذي خالق الارض في يومين الخ ثم حذرهم
أن تصيبهم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ويفتضح امرهم
في الآخرة فيشهد عليهم سمعهم وابصارهم الخ ثم ذكر أنهم
قالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه وذكروا ما اعد لهم على
ذلك من عذاب وما اعد للمؤمنين من نعم . ثم امر النبي ان
يدفع سيئاتهم هذه بالحسنة ويستعيد بالله من الشيطان اذا
زين له أن يقابلهم بالشر فان الله سميع عليم ومن آياته الليل
والنهار وغيرهما فلا يخفى عليه الذين يلحدون في آياته الخ ثم
ذكر انه لا يقال له من ذلك الا ما قد قيل للرسل من قبله
فصبروا وانه لو جعل هذا القرآن الذي يعرضون عنه اعجمياً
لقالوا لولا فصلات آياته الخ ولولا ان الله اراد تأخير عذابهم
لقضى بينهم ولكنه اخر ساعته الى وقت لا يعلمه الا هو
فاذا جاء عرفوا الله وانكروا شركاءهم وبلغ اليأس منهم
مبيلته . وهكذا عادة الانسان لا يسأم من دعاء الخير وان
مسه الشر فيؤس قنوط الخ ثم سألهم ماذا يفعلون اذا ظهر
أن القرآن من عند الله وجاء يوم عذابهم وسيرهم آياته
في الاتفاق وغيرها حتى يتبين لهم أنه الحق الخ

سورة الشورى

سميت بهذا المدح الشورى فيها ويقصد منها اثبات
التوحيد وأنه سائر ما جاء النبي به هو دين الانبياء من قبله . وقد
ذكر انه يوحى اليه من ذلك ما أوحى الى الذين من قبله الخ
وأنه أوحى اليه مثلهم بهذا القرآن لينذر قومه يوم الجمع الخ
ثم فصل هذا الاجمل وذكر انه شرع لهم من الدين ما وحي
به نوحا ومن بعده الى عيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا
فيه . وأما اختلاف فيه من جاء بعدهم ولهذا جاء النبي ليدعوهم
اليه ولا يتبع أهواءهم والله يجمع بينه وبينهم واليه المصير الخ
ثم ذكر انه أمان يكون لهم شركاء شرعوا لهم خلاف هذا
الشرع ولولا أن الله قضى بتأخير عذابهم لعذبهم على ذلك
وأن الظالمين لهم عذاب اليم الخ وأما ان يقولوا ان النبي
افتراه على الله فنشأ بحتم على قلبه فلا يدعوهم اليه ويمح الله
بنفسه باطلهم الخ ثم ذكر انهم لا يمجدونه اذا اراد ذلك فن آياته
الجوارى فى البحر كالأعلام ان يشأ يسكن الريح فتمتف او
يفرقها بهم لينتقم منهم ويعلم الذين يجادلون فى آياتنا الخ ثم
أمرهم ان يستجيبيوا لله من قبل ان يأتيهم يوم لا مرد له من الله

ان أعرضوا فليس على النبي الا ان يبلغهم فان الانسان اذا
غضابه من الله رحمة اغتربها واعرض كما يعرضون مع ان كل
أشياء لله يخلق ما يشاء الخ

ثم اجاب عن قولهم انه افتراه بطريق الاقناع بعد التهديد
فذكر انه لا يمكن ان يكلم الله بشرا الا وحيًا أو من وراء
حجاب او بواسطة ملك وأنه كذلك يوحى اليه وما كان يدري
ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورًا نهدى به من نشاء
من عبادنا وانك تهدي الى صراط مستقيم (هو الشرع
السابق) صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض
الا الى الله نصير الامور

سورة الزخرف

سميت بهذا لذكر لفظه فيها ويقصد منها التنويه بشأن
القرآن واثبات التوحيد الذي جاء به . وقد نوه بشأن القرآن
ثم اثبت أن الله هو الذي لا يمكنهم أن ينكروا أنه الذي خلق
السموات والارض الخ . ثم ابطال أن تكون الملائكة بناته
مؤذكر لهم شبهتين على عبادتها اولاهما انه لو شاء الله ما عبدوها
وأجاب عنها بأنهم عالم لهم بذلك وليس عندهم دليل عليه

وإنما هم يقلدون آباءهم فيقولون أنا وجدنا آباءنا الخ . ثم ذكر لهم ما كان من إبراهيم ورفضه تقليداً لآباء وجعله كلمة التوحيد باقية في نسله إلى أن ضل عنها هؤلاء المشركون فلما جاءهم الرسول يدعوهم إليها قالوا هذا سحر وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم الخ ثم امره أن يستمسك بالذي أوحى إليه من نفى الشركاء كما استمسك به الرسل من قبله وذكر له منهم موسى وما جرى له مع فرعون . والثانية أنهم قالوا أنها مثل عيسى الذي اتخذهم نصارى ولدًا وقد اجاب عنها بجوابين أولهما أنه لم يكن إلا عبداً أنعم الله عليه الخ وثانيهما أنه لو كان لله ولد عيسى أو غيره لكان أول من يعبده وسبحان الله أن يكون له ولد وهو رب السموات والأرض الخ

سورة الدخان

سميت بهذا لذكر لفظه فيها ويراد منها التنويه بشأن القرآن وتحذيرهم من تكذيبه بعذاب يأتيهم يوم تأتي السماء بدخان مبين إذا نزل بهم القحط ثم يكشفه عنهم ويبطش بهم البطشة الكبرى يوم بدر أو يوم القيامة . وهذا كما بطش بفرون عفاغرة ونجى بنى إسرائيل واختارهم على العالمين الخ

سورة الجاثية

سميت بهذا لذكر لفظه فيها ، يقصد منها الاحتجاج على صحة القرآن وما جاء به من التوحيد بآيات الله في السموات والارض الخ . وتحذيرهم من تكذيبه بما وراءهم من عذاب جهنم لا يغني عنهم ما كسبوا شيئاً الخ ثم ذكر انه اتى بنى اسرائيل الكتاب فاختلّفوا فيه من بعد ما جاءهم العلم واتبعوا أهواءهم ثم اتاه شريعة مثلاً فيجب ان يتبعوها ولا يتبع أهواء قومهم انهم لن يغنوا عنه من الله شيئاً وان الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولى المتقين . فانه لا يمكن ان يستوى الفريقان في ذلك بل لا بد أن تجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون . ثم ذكر انكارهم للبعث الذى يلاقون بعده ذلك وختم السورة بالكلام عليه

سورة الاحقاف

سميت بهذا لذكر أهل الاحقاف فيها ويقصد منها اثبات تنزيل القرآن . وقد ذكر انه منزل من الله العزيز الحكيم الذى خلق السموات والارض وما بينهما بالحق الخ ثم ذكر أنهم قالوا انه مفترى وأجاب عن ذلك ثم ذكر أنهم قالوا لو

كان خيرا ما سبقنا اليه صعا ليكننا وكان فيما اجاب به عن ذلك
مدحهم بانهم الذين قالوا ربنا الله الخ وبأن منهم الذى أحسن
الى والديه وقال رب اوزعنى الخ وممن اعدائهم الذى قال
لو اديه اف لى الخ ثم ذكر لهم قصة عاد بالاحقاف وانهم
كانوا اغني منهم فلم يغن عنهم ذلك شيئا ثم ذكر ان القرآن الذى
ينكرون ان يكون خيرا سمعه نفر من الجرب فآمنوا به
وولوا الى قومهم منذرين قالوا يا قومنا الخ ثم أمره ان يصبر
على اذام وينتظر ما يوعدون به كأنهم يوم يرونه لم يلبثوا الا
ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون

سورة القتال

سميت بهذا لانه ذكرت فيها احكامه وتحريضهم عليه
وقد ذكر الكافرين وممدحهم عن سبيل الله والمؤمنين واتباعهم
الحق من ربه ثم سلطهم على قتالهم ورغبهم فيه بأن الذين
يقتلون منهم فيه لن يفضل اعمالهم الخ وبأنه ينصرهم عليهم
ويثبت أقدامهم الخ وبأنه يدخلهم جنات تجري من تحتها
الانهار الخ ثم ذكر المنافقين الذين لا يرغبون فى القتال
وهم وشرح أحوالهم ثم نهى المسلمين ان يهنوا فى القتال

وهون عليهم امر الحياة ودعاهم الى الاتفاق من اموالهم في القتال وختم السورة بذلك

سورة الفتح

سميت بهذا لانها نزلت في غزوة الفتح . وقد ذكر انه كان فتحا مبينا وانه نصره به نصراً عزيزا وانه أنزل السكينة في قلوب المؤمنين حتى تم لهم . ثم مدحهم إذ بايعوه على القتال وأوفوا بمعهدهم وذم الذين تخلفوا من المنافقين وأمر النبي ان لا يقبلهم بعد هذا إذا انطلقوا إلى معانم فطليوا منهم ان يتبعوهم . وذكر أنهم إذا أرادوا أن يكفروا عن تخلفهم قسيدهون إلى قوم أولى بأس الخ . ثم ذكر أنه رضى عن المؤمنين عام الحديبية إذ منعوا من دخول مكة وبايعوا النبي تحت الشجرة فأنابهم بهذا الفتح الخ

سورة الحجرات

سميت بهذا لذكر لفظه فيها ويراد منها إرشاد المؤمنين إلى طائفة من الآداب كأن لا يقدموا بين يدي الله ورسوله ولا يرفعوا اصواتهم فوق صوته ولا ينادوه من وراء الحجرات ولا يسموا قول الفاسق اذا جاءهم نبأ حتى يتبينوه

وان يصلحوا بين المتقاتلين ولا يسخر بعضهم من بعض
ويجتنبوا ظن السوء ولا يغتب بعضهم بعضا فهم اخوان خلقهم
الله من ذكر وانثى الخ ثم ذكر الاعراب وضعف ايمانهم لانهم الذين
كانوا يرفعون اصواتهم وينادونه من وراء الحجرات وختم
السورة بالسلام عليهم

سورة ق

يراد منها اثبات البعث وقد أقسم بالقرآن انهم يبعثون ثم
ذكر انهم يشكرون ان يبعثوا بعد ان يصيروا ترابا وتأكلهم
الارض وأجاب بأنه يعلم ما تنقص الارض منهم وذكر لهم
كيف بنى السماء الخ وانه لم يعى بخلقهم اول مرة وانه خالق
الانسان ويعلم ما توسوس به نفسه الخ ثم أمر النبي ان يصبر
على ما يقولون من ذلك ويستمع يوم ينادي المناد الخ

سورة الذاريات

يراد منها إثبات ما يوعدون من عذاب الدنيا والاخرة
وقد أقسم على ذلك بالذاريات وما معها ثم ذكر سؤالهم عن
زمانه وأجاب بأنه يوم هم على النار يفتنون الخ ثم ذكر ما يدل
عليه من آيات الله في الارض وفي انفسهم الخ وانه وقع لمن

قبائلهم من الارلين قوم لوط وفرعون وعاد الخ ثم أمرهم ان
يفرروا الى الله ببل ان يأتيتهم ولا يجعلوا معه الها آخر وذكر
انهم اذا كذبوه في ذلك فقد كذب به اولئك الاقوام من
قبلهم فليس عليه الا ان يتولى عنهم ويذكر المؤمنين الخ

سورة الطور

وهي في ذلك العذاب أيضا وقد أقسم عليه بالطور وما
معه ثم فصل ما يحصل لهم فيه وكذلك ما أعد للمتقين ثم
أمر النبي أن يذكر بهنا من يتذكر ونفي عنه ما يرمونه به من
من الكهانة والجنون والشعر الخ ليعلموا أن ذلك حق ثم
أمره ان يتركهم حتى يلافوا يومهم الذي فيه يصعقون الخ

سورة النجم

يراد منها انبات اتصال النبي بالملائكة الاعلى وتزويه الله عن
أن يكون لها شركاء من اللات والعزى ومناة التي يتخذونها
على مثال الملائكة ويقولون انها بنات الله وينتظرون شفاعتها
وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد
أن يأذن الله الخ ثم أمر النبي ان يعرض عنهم وذكر انهم
لاعلم لهم بذلك ولا بد أن يجزوا على اساءتهم ولا شفاعاة

لهم كما يجزى الذين أحسنوا بالحسنى الخ ثم سفه من يضمن
منهم عذاب الله أو يحمله عن غيره كأن عنده علم الغيب أو
لم يذبأ بما في صحف موسى وإبراهيم ألا تزدوا وازرة ووزر أخرى الخ
(سورة القمر) يراد منها إثبات المعاد وقد ذكر أن

الساعة قد اقتربت ثم حذرهم من التكذيب بها بما جرى قبلهم
لمن كذب بها من قوم نوح وعاد الخ

(سورة الرحمن) يقصد منها دعوتهم الى الله بمراد
نعمه عليهم وبيان ما أعد للمجرمين من العذاب ولمن خاف
مقام ربه من نعيم الجنان

(سورة الواقعة) الغرض منها التذكير بيوم القيامة وما
أعد فيها لأصحاب الميمنة والسابقين منهم وكذا أصحاب المشأمة
وقد ذكر هؤلاء بعد هذا بأنه هو الذى خلقهم وقدر بينهم
الموت فهو قادر على أن ينشئهم نشأة أخرى الخ ثم أقسم بمواقع
النجوم أن القرآن الذى يعدم بهذا قرآن كريم الخ وذكر أنهم
إذا كانوا يكذبون بحديث البعث فهلا اذا باغت الروح
الحلقوم عند الموت يرجعونها اذا كانوا صادقين في أنهم لا يبعثون
ولا يدانون الخ

(سورة الحديد) سميت بهذا لذكر لفظه فيها ويقصد منها بيان عظمة الله ودعوتهم إلى الايمان به ورسوله وإلى الانفاق في سبيله وترغيبهم فيه بما ذكر فيهما من وجوه الترغيب

(سورة المجادلة) سميت بهذا لانها نزلت في مجادلة النبي في الظهار وكان في الجاهلية من أشد انواع الطلاق ويتقضى فرقة مؤبدة فشرع الله له أحكاما أخرى وحذرهم من تعديها وهدد من يتعدى حدوده أو يحاد الله ورسوله من المنافقين وغيرهم وذكر انه يعلم ما يتناجون به من ذلك : ثم نهى المؤمنين أن يتناجوا مثلهم بالاثم والعدوان لئلا يتباغضوا وأمرهم ان يفسح بعضهم لبعض في المجالس ليتحابوا . ثم أمرهم اذا ناجوا الرشول أن يقدموا بين يدي نجواهم صدقة الخ ثم عاد الى المنافقين الذين يحادون الله ويقولون عنه وختم السورة بالكلام عليهم

(سورة الحشر) سميت بهذا لانها نزلت في اجلاء بني النضير وحشرهم الى الشام وقسمة فيئهم على الاصناف الخمسة المعلومة ومنهم فقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم الخ وفي شرح ما كان من المنافقين معهم من قولهم لهم ان

أخرجتم أخرجتم معكم الخ وفي أمر المؤمنين بتقوى الله وإن
لا يكونوا كل المتأقين الذين نسوا الله وقد أنزل عليهم هذا
القرآن الذي لو أنزل على جبل لتصدع من خشية الله الخ

(سورة الممتحنة) سميت بهذا لأن مما نزلت فيه امتحان
المهاجرات وقد نزلت في أمور متجانسة أولها نهى المؤمنين
عن اتخاذ أعدائهم من الكفار أولياء وهم الذين قاتلوهم
وأخرجوهم من ديارهم بخلاف غيرهم. وثانيها نهى عن إرجاع
المؤمنات المهاجرات إلى أزواجهن من الكفار وإباحة نكاحهن
لهم وتحريم الكوافر عليهم. وثالثها في أمر النبي بمبايعة
المؤمنات إذا بايعنه على أن لا يشركوا بالله الخ

(سورة الصف) سميت بهذا لذكر لفظه فيها ويراد
منها ترغيب المؤمنين في الجهاد وتحذيرهم من القول فيه بغير
عمل لئلا يزيع الله قلوبهم كما أزعج قلوب قوم موسى الخ وقد
ذكر أن الكفار يريدون أن يطفئوا نور الله ليغربهم عليهم وأنه
الجهاد في سبيل الله تجارة رابحة تنجيهم من عذاب اليم الخ
(سورة الجمعة) سميت بهذا لأنها فرضت فيها للمؤمنين
بدل النسبت لليهود بعد أن رد على اليهود زعمهم أنهم أولياء

لله من دون الناس فلا يمكن ان يبعث من الاميين
(العرب) نبي

(سورة المنافقين) سميت بهذا لان كل آياتها فيهم
وتحذير المؤمنين منهم

(سورة التغابن) سميت بهذا للذكر انفظه فيها ويقصد
منها إثبات التوحيد والبعث وتحذير الكفار من عذاب
الدنيا والاخرة ودعوتهم الى طاعة الله والرسول فهي خير
لهم من أزواجهم وأولادهم وأموالهم التي هي سبب فتنهم

(سورة الطلاق) سميت بهذا لانها نزلت في احكام
الطلاق وما يتصل به من عدة ورضاع وقد ختمت بتحذيرهم
من مخالفة أمر ربهم فيه لئلا يصيبهم ما أصاب كل قرية عنت
عن أمر ربها الخ

(سورة التحريم) سميت بهذا لانها نزلت في تحريم
مارية وقد أسر به النبي الى حفصة فأخبرت به عائشة فأمرهما
الله بالتوبة من ذلك وحذرهما فيمن حذرهما نارا وقودها
الناس والحجارة الخ

(سورة المائد) سميت بهذا للذكر انفظه فيها ويقصد منها

الدعوة الى الايمان بالله والتحذير من الكفر به

(سورة القلم) سميت بهذا لانه أقسم به فيها ويراد منها

تنزيه النبي عما يرمونه به من الجنون وأن ما يتلوه عليهم

أساطير الاولين وتهديدهم على ذلك بما هددهم به

(سورة الحاقة) وهى القيامة التى كذبت بها ثمود وعاد

ويراد من السورة تهويل أمرها وشرح بعض أحوالها

(سورة المعارج) سميت بهذا لذكر لفظه فيها وهى فى

عذاب يوم الآخرة الذى سأل عنه بعضهم فأجيب بأنه واقع الخ

(سورة نوح) سميت بهذا لانها من اولها الى آخرها فى قصته

(سورة الجن) سميت بهذا لانها نزلت فى الجن حين

استمعوا القرآن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا وقد مضى فى

كلامهم الى ان ذكروا أن منهم مسلمين ومنهم فاسقون

فقال عن هؤلاء بقطع النظر عن كونهم من الجن انهم لو استقاموا

على الطريقة لاستقيناهم ماء غدقا وختم السورة بالكلام فيهم

(سورة المزمل) يراد منها ارشاد النبي الى ما ذكر فيها

من احكام وآداب وتصبيره على أذى قومه وتحذيرهم من مخالفته

(سورة المدثر) يراد منها ارشاد النبي ايضا وتصبيره وتحذيرهم

(سورة القيامة) سميت بهذا لانه اقسام بها ليعلمن
وكلها سياق واحد في البعث وما يتعلق به . وقوله لا تمرك
به لسانك ليس فيه قطع للسياق بل هو خطاب للانسان
المذكور في قوله « ينبأ الانسان يومئذ بما قدم واخر » اذا
قرأ كتاب أعماله بسرعة

(سورة الدهر) سميت بهذا لذكر لفظه فيها وقد قسم
فيها الانسان الى شاكرك وكافر وبين ما أعد لكل منهما
وختمت بتصميم النبي ونبيه عن طاعة كل آثم وكافر

(سورة المرسلات) يراد منها اثبات البعث وتهديدهم
بما يوعدون فيه وكذلك سورة النبأ والنازعات

(سورة عبس) يقصد منها عتاب النبي وقد عبس لمن
جاءه للتذكيرة وتصدى لمن استغنى عنها وقد ختمها برفع شأن
تلك التذكيرة ومدح من يتذكر بها وذم من يكفر بها ولفته اليها
(سورة التكويد) سميت بهذا لقوله فيها « كورت »

ويقصد منها بيان ان كل نفس مسئولة عما قدمت يوم
الآخرة وان ذلك لا شك فيه لانه قول رسول كريم الخ
وكذلك سورة الانفطار

(سورة المطففين) يراد منها تحريم التطفيف وتهديد
المطففين الفجار وتبشير الابرار الذين لا يطففون
(سورة الانشقاق) سميت بهذا لقوته فيها (انشقت)
ويقصد منها ان كل انسان ملاق عمله يوم القيامة وتفصيل ذلك
(سورة البروج) يقصد منها تهديد المشركين بمثل
ما جرى لاصحاب الاخدود وفرعون وثمود
(سورة الطارق) يقصد منها بيان ان كل انسان
محفوظ عليه عمله وان الله قادر على رجعه ليحاسبه عليه
(سورة الاعلى) سميت بهذا لذكر لفظه فيها ويقصد
منها الدعوة الى الله فمن اجاب نجا ومن خالف هلك
(سورة الغاشية) هي القيامة التي تكون فيها وجوه
خاشعة ووجوه ناعمة والخ وقد ختمت بلفت نظرهم الى الابل
كيف خلقت . . . ليعلموا ان الله قادر على بعثهم
(سورة الفجر) سميت بهذا لانه اقسم فيها بالفجر وما
معه انهم ليعذبون كما عذبت عاد وثمود وفرعون وقد ذكر
بعد هذا ان الله لهم بالمرصاد يرى رضاهم اذا اكرمهم
وسخطهم اذا ضيق رزقهم وانهم لا يكرهون اليقيم الخ

(سورة البلد) هي مكة وقد اقسم بها انه خلق الانسان
يكابد المصائب وانشدائد فلا يصح له ان يفتخر بقوته وبما
ينفقه في وجوه الشر وقد جعل الله له عينين واسنانا وبين له
طريق الخير والشر فهلا أنفق ماله في فك رقبة الخ
(سورة الشمس) أقسم بالشمس وماءمها ان من يزكي
نفسه يفلح ومن لايزكيها يخيب كما خابت ثمود حينما كذبت رسولاها
(سورة الليل) يقصد منها تقسيم الناس الى فريقين
طائع وعاص وبيان حال الفريقين

(سورة الضحى) يراد منها تطيب خاطر النبي وبيان
فضل الله عليه وكذلك سورة الانشراح
(سورة التين) سميت بهذا لانه اقسم به انه خلق
الانسان في أحسن تقويم الخ فهو قادر على بهمه يوم الدين
(سورة العلق) يقصد منها الدعوة الى الله وذم من يصد
عنه ويكذب به وتهديده اذا لم ينته عن ذلك بما هدد به
(سورة القدر) يراد منها تشريف ليلة القدر التي أنزل
فيها القرآن الكريم
(سورة البينة) وهي محمد الذي لو لم يبعث لبقى الكافرون

على كفرهم فالسورة في بيان الحاجة الى رسالته
 (سورة الزلزال) يقصد منها التذكير بيوم القيامة الذي
 يجازى فيه الناس على أعمالهم من خير او شر
 (سورة العاديات) وهي الخيل تمدو في الجهاد اقسام
 بها ان الانسان كنود وهده على ذلك بما هدده به
 (سورة القارة) وهي القيامة ويراد من السورة
 شرحها وبيان حال من ثقلت او خفت موازينه فيها
 (سورة التكاثر) يقصد منها ردعهم عن التكاثر بالاموال
 والاولاد الذي ألهمهم عن طاعة الله
 (سورة العصر) يقصد منها بيان فضل العمل الصالح
 والتواصي بالحق والصبر

(سورة الهمزة) يقصد منها تحريم الهمز واللمز
 (سورة الفيل) يراد منها التذكير بعناية الله بالبيت الحرام
 (سورة قريش) الغرض منها دعوتهم الى عبادته
 (سورة الماعون) سميت بهذا لانه حرم فيها أمور منها منع الماعون
 (سورة الكوثر) يراد منها تشریف النبي وانه اعطى
 ما هو خير من الولد

(سورة الكافرون) الغرض منها قطع طمع الكافرين
من موافقة النبي لهم

(سورة النصر) يقصد منها تبشير النبي بالنصر على
اعدائه ودخول الناس في دينه أفواجا

(سورة اللهب) نزلت في تهديد أبي لهب وامراته حمالة الحطب
(سورة الاخلاص) يقصد منها تنزيه الله عن
الشريك والولد

(سورة الفلق) يراد منها ارشاد الناس الى الالتجاء
الى الله في دفع شرور الخلق التي تؤذى الجسد . ويراد من
سورة الناس ارشادهم الى الالتجاء اليه في دفع ما يفسد منها
القلب وبالسورتين ختم القرآن والدعاء بناب الختام

نظرتان ختاميتان

- ١ -

توجد سور كثيرة تتفق في غرض واحد كاثبات
التوحيد ومثل القرآن في هذا صحيفة من صحفنا اليومية
نصبت نفسها لغرض وطني او ديني . أليست تصدر كل يوم
توقيلتها ذلك الغرض بلون لا يختلف عن سابقه في الجوهر

ولا يسألمها القراء بل يقبلون عليها بشغف . فلا غرابة في أن
يسمك القرآن هذا السبيل في تأييد الدعوة الإسلامية . وإنما
كان يكون غريباً أن يصدر بلون واحد في اثبات التوحيد
مثلاً يكرره أمام أصرارهم ثلاثاً وعشرين سنة

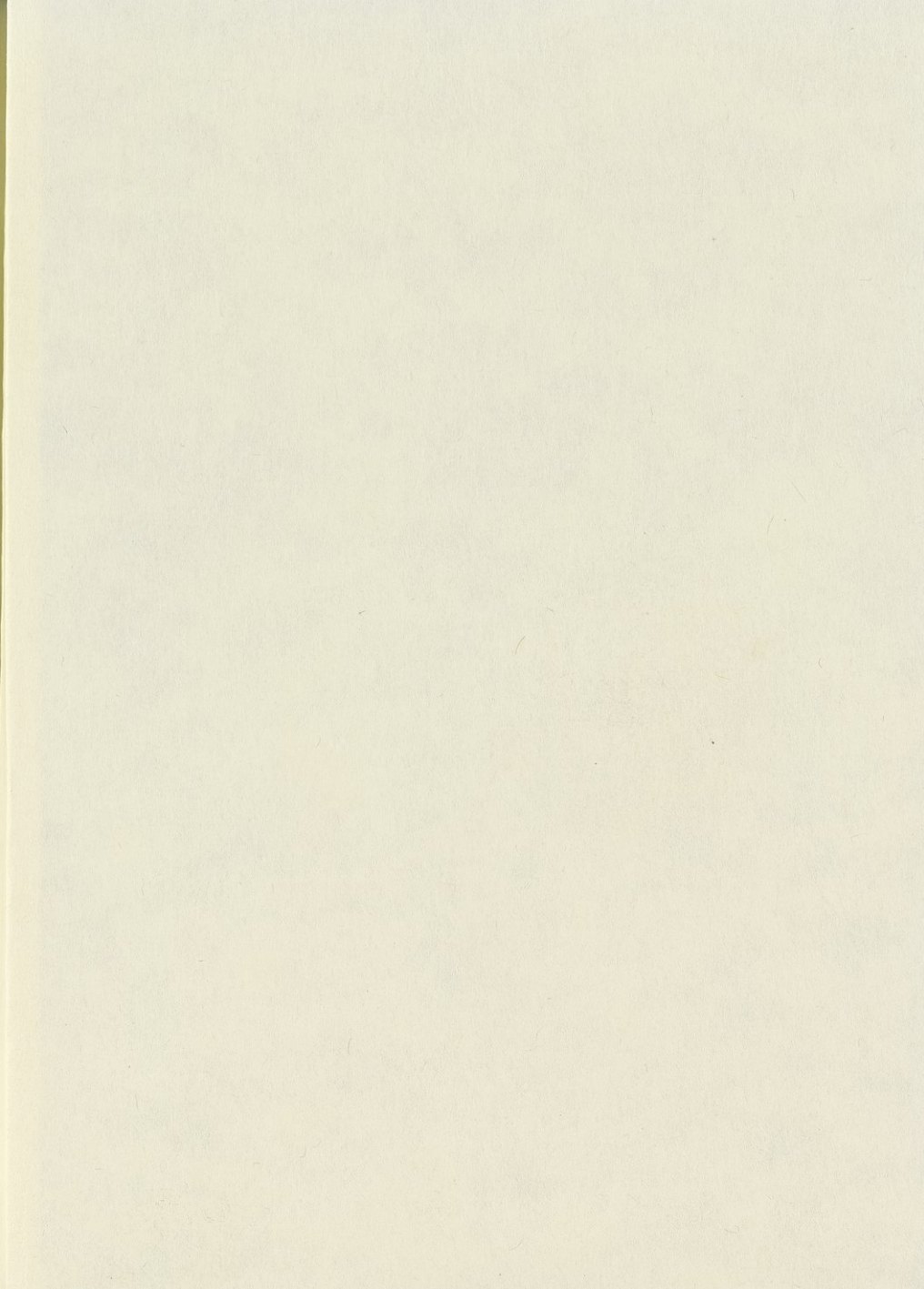
- ٢ -

ان السورة قد تكون في اثبات صحة القرآن ولا
تخلو من كلام في التوحيد أو الرسالة أو المعاد أو الوعد
والوعيد والعكس بالعكس وسبب هذا ان هذه أمور جاء
بها القرآن وكانت سبباً في انكارهم له فلما اشتركت في هذا
صح ان تأتي السورة في بعضها ثم تتناول في بعض نواحيها غير منها
(تم الجزء الثالث)

(تنبيه) وقع في سورة الكهف خطأ في وضع العناوين

لا يخفى على القارئ

وفي أول صفحة ٢٢٣ يزداد كلمة (تهديد) و





Princeton University Library



32101 063506131